وزارة التعليـم العـالي والبحـث العلمـي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كليـة العلـوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم التـاريـخ

عنـوان الـمذكـرة

جهود العثمانيين لإنقاذ مسلمي الأندلس من نهاية القرن 15م الى منتصف القرن 16م

مذكرة لنيل شهادة ماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث المعاصر

إعداد الطالبين:
- يونس رخرور
- بغداد شاشي

إشراف الأستاذ :
بومدين كعبوش

السنـة الجامعيـة 2015 – 2016

إهداء

إلى عيني التي أبصرهما نور الحياة

والروح الطيبة التي أخلد إليها دائما فتسقيني من بحر عطفها

ووجودها حبا وحنان إليك يا سيدة النساء جميعا أهدي جهدي وعلمي

ليكون عربون شكرا وعرفان بجميك وتضحياتك لأجلك أمي ثم أمي

ثم أمي الغالية حفظك الله يا أعز الناس وأطال في عمرك.

إلى من سهر لأجل أن أعيش ويراني ناجحا،

هاأنا قد أنهيت ما بدأته أنت أيها القائد الذي تتجمع في روحه كل

الصفات الطيبة والوفاء والمحبة الى قدوتي في هذا الوجود

ومحفزي دائما إلى أبي حفظه الله وأطال عمره .

إلى كل من كان سندي المادي والمعنوي إلى أعز ما لدي أخوي **مصطفى**،

يونس و إلى افراد عائلتي صغيرا وكبيرا.

إلى من قاسمني عناء هذا العمل المتواضع أخي وصديقي **زخرور يونس**

والى اخوتي الذين قاسموني أيام الحياة الجامعية: ، **جمال هاشي ، بوصوري طه،**

بجرة بلقاسم ، نواري عبد الصمد ،

إلى أستاذي المشرف "**كعبوش بومدين**" وإلى كل أساتذة وطلبة جامعة

عمار ثليجي-الأغواط- وأخص بالذكر طلبة **قسم التاريخ** دفعة 2016/2015.

والى زملائي أساتذة وادارة **ثانوية محمد بوضياف** .

والى تلاميذي الأعزاء .

بغداد

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي...

إلى أغلى نعم الله عليّ في هذه الحياة، إلى من قال فيهما الله عز وجل:"وقضى ربك ألا تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحسانا" إلى ركيزة الأسرة ونورها الذي لا يتطفئ، إلى ذات الينبع الصافي من الحب والحنان الدافئ إلى من تعجز الكلمات عن الوفاء بحقها والإشادة بفضلها، إلى التي لا يوجد مثلها في الوجود..."**أمي الغالية**"

إلى من أقف عاجزا أمام جميله وعطائه، إلى من تحمّل مرارة التعب وقساوة الأيام من أجل تعليم أبناءه، إلى من علمني الصبر والإجتهاد ..."**والدي العزيز**" حفظه الله.

إلى من قاضت روحه الزكية ومازلت لذكراه.

إلى من كان سندي المادي والمعنوي، إلى الذي أعجز عن رد ولو جزء بسيط من عطائه ودعمه وتشجيعه لي المتواصل أخي العزيز "**عبد الله**".

إلى الكتكوت "**علي عبد الكافي**" والى الكتكوتة "**رحاب**"

إلى أعز ما لدي إخواني: **محمد، صالح الدين**، وبهجة البيت الشطورة "**ايمان**".

وأخواي العزيزان مصطفى ومحي الدين.

وأخي الذي قاسمني أيام الحياة الجامعية: **هاشي بغداد**، **نواري عبد الصمد**، **بوصوري طه**، **الدكتور دمانة عمر** ، **الاستاذ رخرور يوسف**، **جمال هاشي** ،

إلى من قاسمني عناء هذا العمل المتواضع أخي **هاشي بغداد**.

إلى أستاذي المشرف "كعبوش بومدين" وإلى قدوتي "**رخرور عبد الله**"

إلى كل أساتذة وطلبة جامعة عمار ثليجي-الأغواط- وأخص بالذكر طلبة **قسم التاريخ** ودفعة 2016/2015.

يونس

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

<< وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنون >>.

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات و بعونه تم انجاز هذا العمل.

نسأله التوفيق لأنه أعاننا على انجازه ووفقنا إلى إتمامه فله الحمد كما ينبغي

لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

بهذه المناسبة لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في

انجاز هذه المذكرة و نخص بالذكر الأستاذ المشرف كعبوش بومدين الذي

خصنا بنصائح و توجيهات قيمة طوال مرحلة العمل.

كما نتقدم بشكرنا الخالص إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد.

اللهم نسألك العفو و العافية و التوفيق و الرضا.

آمين.

خطة الموضوع

مقدمة

الـفصـل الأول : الوضع السياسي لاسبانيا في اواخر القرن 15 م وبداية القرن 16 م

المبحث الأول : قيام دولة اسبانيا الموحدة

المبحث الثاني : الاهتمام الاسباني الكاثوليكي ببلاد المغرب

الفصل الثاني : استغاثة أهل الأندلس و جهود العثمانيين لإنقاذه

المبحث الأول : استغاثة مسلمي الأندلس بالسلطان بايزيد الثاني

المبحث الثاني : السلطان سليم الأول و تغير السياسة العثمانية

المبحث الثالث : السلطان سليمان القانوني و موقفه من مسلمي الأندلس

الفصل الثالث : الجهاد البحري في الحوض الغربي للمتوسط

المبحث الأول : أثر حروب الاسترداد على الشمال الإفريقي

المبحث الثاني : جهود أتراك الجزائر لإنقاذ مسلمي الأندلس

المبحث الثالث : المعيقات التي حالت دون استرداد الاندلس

الخاتمة

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

مقدمة

مقدمــة :

تعتبر المحنة الأندلسية بسقوط غرناطة وما تلاها من مأساة الموريسكين من أهم القضايا التي مر بها تاريخ امتنا العربية المسلمة، فقد اتسعت حقبته الزمنية و التي تقدر زهاء قرنين من الزمان تقريبا أي منذ سقوط غرناطة 1492م، حتى الطرد النهائي لمسلمي الأندلس المتنصرين سنة 1609م ، وتعود خطورة تلك الحقبة إنها شهدت صراعا صليبيا محتدما نشأت بوادره الأولى على ارض الأندلس بعد سقوط غرناطة و محاولة تصفية الوجود الإسلامي، و اقتلاع جذوره لا من الأندلس فقط ، و إنما من الدول المواجهة لبـر الأندلس و هي دول الشمال الإفريقي التي تدين للإسلام و تساند إخوانهم المسلمين في الأندلس .

ان تعصب الكنيسة المسيحية ودعوة البابا إلى حروب صليبية ضد الإسلام و المسلمين ومباشرة الجيوش و الأساطيل البرتغالية و الاسبانية نشاطها الوحشي بالاعتداء على المسلمين في الأندلس و خارجها ، لتقام في الأندلس محاكم تفتيش لتنصير مسلمي الأندلس قسرا ، وقد أطلق عليهم آنذاك أكثر من مسمى فهناك بعض المؤرخين من سماهم (**الأندلسيين المواركة**) ويقصد بهم العرب الذين بقوا في قشتالة و غرناطة بعد صدور مرسوم التنصير سنة 1506م ، و كلمة "المواركة" تعريب لكلمة **(moriscos)** القشتالية التي تعني " النصارى الجدد " او" النصارى الصغار " وسبب اختيارهم لكلمة " المواركة" هو محاولة التفريق بينهم و بين الأندلسيين الذين سكنوا شبه الجزيرة الأندلسية قبل سقوطها طوال عدة قرون .

ابتداءا من منتصف القرن الخامس عشرا ، كانت التطورات المحلية و الدولية تتفاعل لتحديد مستقبل مملكة غرناطة ، أخر معاقل المسلمين بالأندلس ، فقد أدى تمكن السلطان العثماني محمد الفاتح من فتح القسطنطينية إلى دفع البابوية للبحث عن وسيلة للانتقام من المسلمين فراحت تحث قشتالة على تجديد الحرب ضد غرناطة و إقامة محاكمة متعسفة لمن يثبت عليه تمسكه بالإسلام أو بتقاليده أو عبادته ، وكان يعذب عذابا شديدا إلى درجة القتل وغيرها من الأمور التعسفية .

مقدمــة :

هدف الدراسة:

ان الهدف من هذه الدراسة أن تكون دراسة تاريخية شاملة لأمتنا المسلمة ، وان تمتد امتدادا واسعا يشمل جناحيها معا في حقبة زمنية واحدة تفرض علينا أن نقرا تاريخها قراءة واعية ذات منهجية مميزة ، و لن يكون ذلك إلا بربط تاريخ المشرق الإسلامي بمغربه فكل منهما يؤثر في الأخر باعتبار امتنا الإسلامية امة واحدة ، أما إذا درس تاريخ العثمانيين دراسة إقليمية منفصلة ضيقة ، فان ذلك لن يعطينا الصورة الصادقة لكفاح امتنا السياسي و العسكري والاقتصادي و الحضاري ، ولكنه سيكون تاريخا مشوها و ناقصا .

لا شك أن الأتراك العثمانيون قد كانوا القوى الكبرى في المشرق الإسلامي آنذاك، و التي حملت لواء الإسلام نيابة عن الخلافة العباسية التي خمدت أنفاسها بعد الغزو المغولي و سقوط بغداد ، فان جيوش و أساطيل العثمانيين قد حملت لواء الخلافة وانسابت في البر و البحر لتنشر الإسلام في دول البلقان و شرق أوروبا ، وامتدت جيوشها إلى أوربا الغربية ثم تتوج سنة 1453م بفتح القسطنطينية على سلطانها محمد الفاتح .

لقد رأى الحكام العثمانيون لن تكتمل قوتهم و يتفرغوا لأعمال الجهاد في سبيل الله بأن تتوحد جهود العرب المسلمين مع جهودهم في جبهة واحدة ، و هذا يفسره الفتح العثماني لمصر و الشام على يد السلطان سليم الأول والذي تنازل فيه أخر خلفاء العباسيين بالخلافة لسلاطين بني عثمان على اعتبار أنها القوة الكبرى آنذاك ، وبهذا الأخير اطمأن العثمانيون من أمن جنوب البلاد العربية الإسلامية وحماية الأماكن المقدسة من الخطر الصليبي .

بهذه الجبهة القوية واجه العثمانيون الهجمة البرتغالية و الاسبانية التي كانت تحدق بالوطن العربي ، وخاصة إبان الكشوفات الجغرافية التي قامت بها هاتان الدولتان و التي بارك البابا حركتهما الاستعمارية ، ومن هنا أدرك العثمانيون ذلك الخطر مبكرا فقاموا بصده و عملوا على مطاردة البرتغال و الأسبان ،و الحركات الصليبية في البحر الأحمر و الأبيض المتوسط ، بل لم تكتف بذلك ومن الانصاف و العدل أن نقول إنها ظلت تواجه أوروبا الصليبية و تجاهدها في سبيل الله زهاء ستمائة عام منذ القرن السابع هجري وحتى أواخر القرن السادس عشرا.

مقدمــة :

إن الدولة العثمانية الناشئة آنذاك كانت سدا منيعا في وجه الأطماع الأوربية ، قد عول عليها المسلمون كثيرا ، واعتمدوا عليها في أن تعود للأمة الإسلامية مكانتها و هيبتها ، وعلى سلاطين بني عثمان موكل إليهم حماية الأمة المسلمة ، فلا عجب إن تتجه إليهم وفود أهل الأندلس من المسلمين المتعرضيـن للتنصير القسري و محاكم التفتيش و قد استبدا بهم الأسبان وحاولوا تشريدهم وطردهـم ، نقول اتجهت الوفود لطلب النجدة و الإنقاذ ، ومن هذا المنطلق الذي يشكل القضية الجوهرية لموضوع البحث وهي قضية جهود العثمانيين في إنقاذ مسلمي الأندلس في نهاية القرن الخامس عشر ميلادي و خلال القرن السادس عشر ميـــــــلادي .

<u>أسباب اختيار الموضوع</u> :

يعد المشكل الموريسكي إحدى المعطيات الثابتة التي سيطرت القرن السادس عشر في البحر الأبيض المتوسط ، ولا شك إن ارتباطه و تأثيره على البلاد الإسلامية كان اشد واقوي مما كان عليه في البلاد الغربية ، و إذا كانت الدراسات عن هذا المشكل قد تعددت في البلاد الأوروبية خاصة ، فهو بدون شك ، مازال يحتاج دراسات شمولية تأخذ بعين الاعتبار كل الإبعاد الحقيقية لهذا الموضوع ، وهذا على ضوء الدور الذي لعبته الإمبراطورية حياله ، ويهدف بحثنا :

- عرض بعض الانطباعات التي حصلت من قراءة دراسات التاريخية الموريسكية .
- إيقاف القارئ العربي المسلم بنفسه على الصواب ومعرفة حقيقة تلك القضية الغامضة و الشائكة .
- نقص الكتابات التاريخية الدقيقة و المختصة حول هذا الموضوع .
- الرغبة في معرفة كيف ساهم الأتراك العثمانيون في إنقاذ مسلمي الأندلس وفيما تمثل ذلك ؟

إضافة إلى هذه فرغبتنا الشخصية لمعرفة هذا الموضوع والذي سوف يكون إضافة للدراسات التاريخية في هذا الاختصاص.

إشكالية الموضوع :

إن موضوع " جهود العثمانيين في إنقاذ مسلمي الأندلس في نهاية القرن الخامس عشر ميلادي و خلال القرن السادس عشر ميلادي " يعد على جانب أهمية كبيرة ويطرح إشكالية جوهرية و مركزية تهدف إلى إبراز جهود العثمانيين اتجاه المورسيكين ، فالى اي مدى كانت جهود العثمانيين كافية في إنقاذ مسلمي الأندلس ؟ .

ولتوضيح الإشكالية يمكن طرح التساؤلات التالية والتي سوف نجيب عنها من خلال فصول المذكرة :

- هل طلب مسلمي الأندلس النجدة من الدولة العثمانية ؟
- هل اعرض العثمانيون على مساعدة مسلمي الأندلس ؟
- هل استجابا العثمانيون في إنقاذ مسلمي الأندلس ؟
- ماهو دور اتراك الجزائر في انقاذ مسلمي الاندلس ؟
- لماذا لم تستطع الدولة العثمانية في استرداد الأندلس ؟

للإجابة على تلك الإشكالية و التسؤولات إتباعنا المنهج التاريخي الوصفي، الذي تقتضيه طبيعة الموضوع ، الذي يهتم بوصف الإحداث وتسلسلها كرنولوجيا في الزمان و المكان لان هذا الموضوع جملة من الأحداث التاريخية تخص الدولة العثمانية والقضية الموريسكية....الخ ، اما المنهج التحليلي فقد اعتمدناه في دراسة المادة العلمية وتحليلها والبحث عن الحقيقة ، ألا وهي دور العثمانيون في إنقاذ مسلمي الأندلس ورصد المعلومات التاريخية .

<u>خطة الموضوع</u> :

يقع الموضوع المدروس في هذه المذكرة خلال المرحلة الواقعة ما بين نهاية القرن 15م وخلال القرن 16م في زمن الإمبراطورية العثمانية التي تعتبر أعظم إمبراطورية في تلك الحقبة الزمنية ، حيث قسمنا الموضوع إلى ثلاثة فصول أساسية .

الفصل الأول فقد حاولنا أن نشير الى الوضع السياسي لاسبانيا في أواخر القرن 15م و اتحاد مملكة قشتالة و ارغون ونتائجه وسقوط غرناطة والاهتمام الاسباني ببلاد المغرب الدوافع والأسباب والتي تمثلت في كل الجوانب .

أما الفصل الثاني كان متعلقا باستغاثة أهل الأندلس بسلاطين آل عثمان ،أولا بالسلطان بايزيد الثاني ، والسلطان سليم الأول وتغير السياسة العثمانية إضافة الاستنجاد بالسلطان سليمان القانوني وموقفه من مسلمي الأندلس .

أما فيما يخص الفصل الثالث والأخير فأشرنا إلى الجهاد البحري في حوض البحر المتوسط إضافة إلى أثر حروب الاسترداد في الشمال الإفريقي وجهود الإخوة بربروسا في إنقاذ مسلمي الأندلس وجهود بيلربيات الجزائر ودعم للقضية الموريسكية خلال القرن 16م.

بالإضافة إلى خاتمة التي كانت عبارة عن نتائج للموضوع متبوعا بالملاحق لتوضيح ما جاء في المتن والتدليل على ذلك .

المصادر و المراجع :

فقد تنوعت مضامين الموضوع بين ما هو مصدر و مرجع على الرغم لا يوجد دراسات دقيقة و مختصة في هذا المجال ، واعتمدنا على **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** لأحمد بن محمد المقري ، **وغزوات خير الدين** لمؤلف مجهول و **وصف إفريقيا** لمحمد الوزان المقري و **ازهار الرياض في أخبار عياض** لشهاب الدين أحمد المقري و **نبذة في أخبار ملوك بني نصر(تسليم غرناطة و نزوح الأندلسيين إلى المغرب)**، و تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية لمؤلف مجهول و **بدائع الزهور في وقائع الدهور** لمحمد ابن احمد ابن اياس **وحقائق اللأخبار عن دول البحار** لسرهنك اسماعيل **والاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى** للناصري أحمد بن خالد .

أما المراجع اعتمدنا على مجموعة متنوعة بتنوع دراستها ، والدراسة المتخصصة في هذا الجانب هي للأستاذ الدكتور عبد الجليل التميمي **العثمانيون و القضية الموريسكية** ، إضافة إلى دراسات حول التاريخ العثماني مثل حليم بك إبراهيم تاريخ الدولة العثمانية

العلية (التحفة الحليمية)، وكذلك محمد فريد تاريخ الدولة العلية العثمانية و أزوتونا يلماز موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري....الخ

أما المقالات فلقد اعتمدنا على مجلة الدراسات التاريخية المغاربية التي تضم أعداد تحتوي على معلومات حول البحث اضافة **الى** مقالة في كتاب **الصراع بين العرب** والاستعمار لشوقي عطا الله الجمل بعنوان **الكشوف الجغرافية البرتغالية والاسبانية** ، وكذلك مقالة لليلى الصباغ بعنوان **ثورة مسلمي غرناطة عام (976هـ/1569م) والدولة العثمانية**

أما الرسائل الجامعية استفدت من أطروحة دكتوراه لطالب نبيل عبد الحي رضوان تحت عنوان **جهود العثمانيين في إنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث** بجامعة أم القرى و بعض رسائل الماجيستر.

الصعوبات :

ومن هذا المنطلق فان دراسة موضوع جهود العثمانيين في إنقاذ مسلمي الأندلس لم يكن بالهين ويمكن نعدد هذه الصعوبات فيمايلي:

- قلة المصادر و المراجع والدراسات الدقيقة و المتخصصة في هذا الموضوع .
- هنالك تعتيم لهذا الموضوع ولا زال في إطار البحث .
- إضافة إلى صعوبة الوصول إلى المادة الأرشيفية و معلومات ودراسات حول هذا البحث المهم.
- عدم توفر الوثائق المادية والملموسة في هذا الإطار .
- عدم التمكن من منهجية البحث ، حيث وجدنا أنفسنا نعمل بدون منهجية محددة تعطي البحث تراتبية تمكن المتلقي من فهم المضمون بسهولة و يسر،
- عدم تقديم التسهيلات اللازمة و التي من ضمنها تيسير وصولنا الى مختلف الادارات و المؤسسات .
- ضيق الوقت الذي لا يتناسب مع قيمة وحجم الموضوع

- لعل اكبر الإشكالات المطروحة عدم تكفل الوزارة المعنية بارسال طلبة الماستر للبحث اكثر في مواضيع مذكراتهم خارج الوطن ، خاصة وانا بعض العناوين مثل موضوعنا يحتاج الى الاطلاع اكثرخاصة دور الأرشيف في تركيا ومعهد الدراسات الموريسكية بزغوان بتونس ...الخ

إن الأمة الإسلامية تعيش نفس الأحداث التي سبقت وهي سقوط وضياع الأندلس ،ومهما يكن فان الشيء الذي نقدمه ما هو إلى عينات بسيطة عن هذا الموضوع ، وعلى رغم الصعوبات بذلنا قصارى جهدنا لجمع المادة العلمية لإعطاء صورة حول هذا البحث .

الفصل الأول

الوضع السياسي لاسبانيا في اواخر القرن 15م وبداية القرن 16م

المبحث الأول : قيام دولة اسبانيا الموحدة

1- اتحاد مملكة قشتالة واراغون
2- سقوط غرناطة وتداعياته

المبحث الثاني : الاهتمام الاسباني الكاثوليكي ببلاد المغرب

1- الحملات الصليبية في بلاد المغرب
2- الدوافع والاسباب

- المبحث الأول : قيام دولة اسبانيا الموحدة

في مطلع العصر الحديث ، طرأت على أوروبا تغييرات جذرية ، كان للحضارة الإسلامية الأثر الكبير فيها ، تمثلت في التخلص من هيمنة الكنيسة، و ظهور الدول القومية التي جمعت أدوات الصراع ،و تقوّت علميّا و تنظيميّا و إقتصاديّا ، وكان على رأس تلك الدول التي كانت عبارة عن إمارات متناحرة وحّدها الهدف السياسي ، حتى تمكّن الضعف من الإمارات الإسلامية القائمة في الأندلس، فتمكّنت منهم و حلّت محلهم ، فكيف تم لها ذلك ؟.

1- إتّحاد مملكتي قشتالة وأراغون :

بعد الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية في (91هـ/711م) ، حكم المسلمون الأندلس ما يقرب من ثمانية قرون ، أصبحت خلالها قلعة علم و منارة للحضارة ، أما المقاطعات المسيحية فلم يكن لها شعور قومي سوى الإخلاص للكنيسة الكاثوليكية الإسبانية [1]. لكن بعد أن قويت تلك المقاطعات عملت على ازدياد نفوذها على حساب المقاطعات الإسلامية الباقية .

و يتمثل العامل الرئيسي الذي أدى إلى توحيد الممالك الإسبانية هي الروح الدينية الصليبية التي ميّزت حروب الاستَّرجاع ضد المسلمين[2] ، و طردهم من الأندلس ،

---

(1) عبد العزيز سليمان نوار و محمود محمد جمال الدين : **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، دار الفكر العربي ، مصر 1999 ، ص ص 40 – 41 .

(2) جلول بن قومار: **معركة وادم المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا (البرتغال، إسبانيا و فرنسا)** ، **(986هـ/178م – 1012هـ/ 1603م)** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، (2010 – 2011م) .

وازدادت هذه الحركة استفحالا بعد اضمحلال الموحدين ، وعدم وجود دولة قوية بالمغرب الإسلامي تستطيع إنقاذ الأندلس من الخطر كما فعل المُرابطون و المُوحدون سابقا [1] .

بدأ سقوط الإمارات الإسلامية منذ القرن (5هـ / 11 م) بسقوط طليطلة ، ثم توالت الواحدة تلوى الأخرى، فكانت البداية بقرطبة سنة (633هـ / 1236م) على يد فرديناند الثالث ، ثم بلنسيا سنة (636هـ / 1238م) ، وتلتهم اشبيلية سنة (646هـ / 1248م) [2].

وبذلك تمكنت الممالك الإسبانية من وضع أسس وحدة سياسية منذ منتصف القرن (7هـ / 13م) بظهور مملكة البرتغال الجزء الغربي من شبه الجزيرة الأيبيرية ، ومملكتي قشتالة وأراغون في الجزء الشرقي منها

حيث استولى جاك الأول الأرغوياني (507-510هـ / 1213- 1216م) على جزر البلياروفالنسيا، ثم سيطر على إمارة نابولي ، هذا وقد توالى الملوك على عرش الأرغون ، حتى كان يوحنا خوان الثاني الذي سعى إلى تزويج ابنه فرديناند (Ferdinand) [3] من

---

(1) عيسى الحسن: **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية**، ط 1، الأهلية للنشر للتوزيع، الأردن 2008 ، ص 326

(2) علي حسن الشطشاط : **نهاية الوجود العربي في الأندلس** ، دار قباء ، القاهرة 2001 ، ص ص 61-62 .

(3) **فرديناند الثاني الكاثوليكي (Ferdinand)** (1452- 1516م) : ابن فيرديناند الأول ملك الأرغون سنة 1452م ، خلف والده في الحكم، فكان ملكا على الأرغون و صقلية (1479 – 1516م) ، ثم نابولي (1504 – 1516 م) ، تميز حكمه بالشدة و القسوة، كما تأسست في عهده محاكم التفتيش سنة 1480 لمطاردة المسلمين و اليهود و تنصيرهم ، تزوج من ملكة قشتالة إيزابيلا ، و بهذا الزواج اتحدت أرغون و و قشتالة ، و قاما بالاستيلاء على آخر إمارة إسلامية في الأندلس في سنة 1492م . ينظر : Dictionnaire, Encyclopédie des Noms propres de la langue Française, Hachette, Paris 1991, p499.

ابنة عمه إيزابيلا القشتالية (Isabelle de Castille) [1] . وتم زواجهما في بلدة الوليد مقرٌ إقامتها، وعقد هذا القران سنة (874 هـ / 1469 م) رغم معارضة بعض المقربين [2] ، وكان عمرها ثمانية عشر سنة، أما فيرديناند فكان يصغرها بسنة [3] .

و بذلك تكونت سنة (879 هـ /1474 م) إسبانيا المسيحية الموحدة رغم الصعوبات التي اعترضتها في اختلاف توجه المملكتين ، فأراغون بحكم سيطرتها على جزر البليار كصقلية، و سردينيا و نابولي ، كان اهتمامها مكرسا على البحر المتوسط[4].

أما قشتالة بحكم موقعها الجغرافي فإنها كانت تتجه نحو الأطلسي، و بما أن النبلاء العسكريين هم المسيطرون عليها، فإنهم كانت لهم نظرة توسعية أكثر عدوانية على حساب الأراضي في الأندلس.

إلا أن هذا الإختلاف في السياسة الخارجية لم ينعكس سلبا على طموح المملكتين و إنما دفع إسبانيا بأن تكون دولة أوروبية عُظمى في البر و البحر ، وسمت إلى مكانة من التفوق و المهابة في العالم إستمرت إلى نهاية القرن السادس عشر.

أوّل عمل إهتم به الملكان الكاثوليكيان هو تصفية الوجود الإسلامي من شبه الجزيرة الإيبيرية[1] . لذلك إعتبرهم جلُّ المؤرِّخين الغربيين البناة الحقيقيون للوحدة الإسبانية[2] .

---

(1) **إيزابيلا القشتالية (Isabelle de Castille)** (1451 – 1504م) : ملكة قشتالة (1474 – 1504م) ، ورثت العرش بعد وفاة أخيها هنري الرابع ، لم يكن لزوجها الملك فرديناند أي سلطة على إمارتها ، حصلت مع زوجها على لقب ملوك الكاثوليك من البابا ألكسندر السادس بعد سقوط غرناطة . ينظر : Dictionnaire,Op.cit, p677.

(2) شكيب أرسلان : **خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة** ، مطبعة المنار، مصر 1925 ، ص 215 .

(3) عبد القادر فكاير : **الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن 16م** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر (2000– 2001) ، ص7 .

(4) هربرت فيشر: **اصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة إلى الثورة الفرنسية** ، ت ع ، راشد زينب عصمت و آخرين ، ط3 ، دار المعارف ، مصر 1970 ، ص ص 74– 75 .

2 – سقوط غرناطة و تداعياته :

اتخذت هذه الوحدة السياسية التي عرفتها الجزيرة الأيبيرية صبغة دينية ، اعتمدت في التحالف بين الملوك الكاثوليك و الكنيسة الكاثوليكية ، و مساندة كل أوروبا المحيطة بالرجال و المال و السلاح، فقد دام حصار آخر معقل للمسلمين في الأندلس (غرناطة) عشر سنوات قبل استسلامها[3] . وفي سنة (897هـ/1491م) سار فرديناند على رأس خمسين ألفا منتهجا سياسة الأرض المحروقة، لكن استماتة مسلميها في الدفاع عنها ردّته خائبا، كما أنهم كادوا يأسرون الملكة[4] .

لما اهتدى الأسبان إلى المسالك التي تتموّن عن طريقها غرناطة قاموا بسدِّها، فقلَّ الطعام و أشتد الجوع، و انقطعت الإغاثة التي كانت تأتي من الجنوب، عندئذ اجتمع الأعيان و الفقهاء و قواد الجيش مع أبي عبد الله لإيجاد حلٍّ لهذه الأزمة المستعصية، فإما التسليم أو الموت [5]، ، فاختاروا التسليم، و تمّ إرسال وفد إلى إلى معسكر فرديناند مزوّد بشروط التفاوض، بعدها اتفق الطرفان على معاهدة التسليم التي وقّع عليها الطرفان في

---

(1) جفري برون : **تاريخ أوروبا الحديث** ، ت ع .علي المرزوقي ، ط1 ، الأهلية للنشر و التوزيع ، الأردن 2006م، ص 171 .

(2) (Fernand Braudel: Le Méditerranée et le monde Méditerrané à l'époque de Phlippell, 2T, 2ème éd, librairie Armand colin, Paris 1966, t2, p19.

(3) نجيب دكاني : **الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية و ردود الفعل الجزائرية خلال القرن (10هـ/16م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المُعاصر، غير منشورة، جامعة الجزائر،) 2000-2001م (، ص15 .

(4) أسعد حومد: **محنة العرب في الأندلس**، ط2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت1988م، ص146 .

(5) مجهول: **نبذة أخبار في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة و نزوح الأندلسيين إلى المغرب)**، تعليق الفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد2002، ص ص 39-40 .

(897هـ/ 1491م)، و قد تضمنّت سبعة و ستين بندا[1] ، وتمَّ استلام غرناطة في (2ربيع الأول 897هـ/2جانفي1492م) و هي آخر المعاقل الإسلامية في شبه الجزيرة الأندلسية . لقد كان للصراع الداخلي بين أفراد الأسرة الحاكمة في غرناطة أثره السيئ على ضعف المسلمين و انحلال قواهم و عراهم[2] .

بعد دخول الملكين إلى مدينة غرناطة، أقدما على عدّة أعمال فيها خرق فاضح للمعاهدة التي لم يجفّ ميدادها بعد[3] . فتمَّ فرض ضرائب جديدة سنة (901هـ/1495م) و في سنة (905هـ/1499م)شرعوا في سياسة التنصير التي نادى بها الكاردينال أخسيمنس[4] الذي قام بغلق المساجد و حرق الكتب و المخطوطات التي بلغ عددها ثمانمائة ألف[5] .

---

(1) أحمد بن محمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح ، إحسان عباس ،4ج، دار صادر، بيروت1988م، ج4 ، ص ص 245 – 250.

(2)عبد الرحمان علي الحجي : **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دار العلم، بيروت 1976، ص529 ..

(3) أسعد حومد : المرجع السابق، ص220 .

(4) **أخسيمنس دي سيسنيروس** (Ximenes De Cisneros) : ولد في قشتالة سنة 1436 ، وتوفي في طليطلة سنة 1517م، في سنة1492 م أصبح مستشارا سياسيا للملكة إيزابيلا، وفي سنة 1505 عيَّنه فرديناند مشرفا عاما على محاكم التفتيش، وأشتهر بتعصّبه وتطرّفه الديني، فقد لعب دورا بارزا في تنصير مسلمي الأندلس، كما أحرق في غرناطة وحدها 5000 كتاب، وتزعم عملية احتلال سواحل المغرب الإسلامي .للتعرف أكثر على هذه الشخصية يُنظر : (CH.J Hefele: le Cardinale Ximenes et L'èglise d'Espagne, trad par: M.L'abbè A.sisson et M.L'abbè A.crambon, 2éme ed, J.B.pèlagaud imprimeur-libraire, Paris1860.

(5) أنطونيو دو مينغيرتز وبرنارد بنثنت: **تاريخ مسلمي الأندلس**، عت.عبد العال صالح طه، ط1 ، دار الإشراق، قطر1988م، ص351 .

في (908هـ/12فيفري1502م) صدر مرسوم ملكي يُخيِّر المسلمين بين النصرانية ، أو مُغادرة الأنلدس ، وتصوّر لنا إحدى المصادر الإسلامية تلك السياسة الوحشية التي عُومل بها المسلمون"... ولم يبقى فيها من يقول لا إله الله محمد رسول الله، إلا من يقولها في قلبه، وفي خفية من الناس"[1] . و قد زادت معاناة أهالي غرناطة مع ظهور ديوان التحقيق الذي يقوم بإجراء تحريات عن حقيقة بقاء المسلمين على دينهم، و كان المدان ينال مختلف أنواع التعذيب، منها الموت حرقا، و قدِّر عدد المعذبين بعد سقوط غرناطة بثلاثة ملايين نسمة [2] .

كان رد فعل المسلمين بديهي ، فالكثير من الأعيان أرغموا على التنصير لكي يتبعهم غالبية القوم [3] ، إلا أن البعض منهم استعمل أسلوب التقنية [4] .

لكن الأندلسيين لم يبقوا مكتوفي الأيدي، فقد اندلعت ثورات في أماكن متفرقة من الأندلس كان أهمها ثورة البيازين سنة (906هـ/1499م)، إلاّ أنها قمعت بقوة، لتأتي ثورة جبال البشارات في (906هـ/1500م)،التي تمكن الثوار خلالها من الاستيلاء على العديد من الحصون، و قُتل قساوسة القلعة المكلَّفين بتنصير المُسلمين، كما قاموا بأسر العديد من سكان الأحياء المسيحية[5].

---

(1) ألفيكونت دو شاتوبريان : **الإسلام في الأندلس**، آخر بني سراج(ملحق أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر آخر بني سراج)، تع . شكيب أرسلان، دار مكتبة الحياة، بيروت1985م ، ص. 404 .

(2) لويس كارديلك : **الموريسكيون والأندلسيون والمسيحيون**، منشورات م.ت.ت ديوان المطبوعات الجامعية، تونس 1983، ص ص 120 – 89 .

(3) عناف :مرجع سابق، ص. 315 .

(4) جمال يحياوي : **سقوط غرناطة ومأساة الأندلس(1610 – 1492)** ، دارهومة، الأردن 2009 ،ص ص63 – 52

(5) Luciens dolfus: **Etudes sur le Moyen Age Espagnol**, Leroux, Paris1894, p319.

كان رد فعل فرديناند قويا، ففي (907هـ/مارس 1507م)أرسل قوة عسكرية بقيادة الدون ألونسودي أغلار (Aguillar)، لكن هذا الأخير لقي حتفه مع العديد من جنوده[1] . ولتهدئة الوضع قام الملك فيرديناند بإعلان العفو الشامل عن الثائرين إذا تنصّروا، أو مغادرة البلاد دون أي متاع يحملونه معهم سوى ملابسهم التي يرتدونها[2] .

هاجر الأندلسيون المتمسكُون بدينهم، فرارا من محاكم التفتيش كالاضطهاد الإسباني .رغم أنهم بعثوا نداءات إستغاثة إلى الدول الإسلامية التي لم تُحرك ساكنا، فالمماليك في مصر كانوا مُنشغلين بضمان مُلكهم[3] . أما الدولة العثمانية فكانت تحارب على جبهتين ، الخطر الصفوي من الجنوب و الدول الأوروبية، من الشمال[4] .

من بين هؤلاء الفارين من بطش الرهبان و الكنيسة و محاكم تفتيشها ، من قصد المغرب الإسلامي ، فتطلّع ملوك الإسبان لهذا الأخير بإعتباره القاعدة الأساسية لقوة المسلمين التي إنطلقت منها الفتوح لبلاد الأندلس، و التي إستمرّت سندها الرئيسي طيلة حكم المسلمين لها، كملجأ الموركسيين المنشّطين لحركة الجهاد البحري للإغارة على السواحل الإسبانية[5] .

---

(1) لوثروب ستودارد : **حاضر العالم الإسلامي** ، تع. عجاج نويهض، تح .شكيب أرسلان، 4ج، ط3 ، دار الفكر ، بيروت 1971م ، ج2 ، ص22 .

(2) أليكونت دو شاتوبريان : مصدر سابق، ص130 .

(3) المقري : المصدر السابق، ج2، (مناشدة أبي عبد الله محمد بن علي الأزرق قاضي الجماعة في غرناطة للسلطات قايتباي)، ص307 .

(4) نجيب دكاني : المرجع السابق، ص16 .

(5) عبد الواحد ذنّون طه : **حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة**، ط1 ، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1988 ، ص17 .

. المبحث الثاني : الإهتمام الإسباني ببلاد المغرب :

كانت خطة إسبانيا بعد سقوط غرناطة قائمة على غزو سواحل المغرب الإسلامي، و تصفية النفوذ الإسلامي نهائيا من شبه الجزيرة الإيبيرية ، و قد أسفر هذا الإنتصار الذي حقّقه الملكان الكاثوليكيان ضد المسلمين إنتعاش الروح الصليبية من جديد، و تعقُّب الأندلسيين الذين التجأوا إلى موانئ المغرب الإسلامي. لكن التساؤل الذم يطرح نفسه :هل كانت الحملات على سواحل المغرب الإسلامي إمتدادا للانتصار في غرناطة، أم كانت نتيجة مباشرة لها ؟

يذكر بروديل أنه منذ القرون الوسطى كان المغرب الإسلامي على علاقة وطيدة بالممالك الإسبانية، كطرح التساؤل التالي : " هل كانت هذه العلاقة جذور للحملات على المغرب الإسلامي؟" و قد أجاب مؤل.ف دوماس لاتري (De Mas-Laterie) أعطى دليلا ثمينا للجذور البعيدة لهذه القضية(1) .

كما أن هنري الثالث قام بإرسال جواسيسه قصد التعرف على السواحل المغربية، لتنفيذ هجومه عليها بعد هزيمة الموحدين في معركة العقاب (609هـ/1212م) ، لكن الظروف حالت دون تنفيذ لمشروعه(2) .

1-الحملات الصليبية في بلاد المغرب :

كان ظهور الدولة العثمانية كقوة إسلامية في منتصف القرن (9هـ/15م)، وقيامها بحركة توسّعية على حساب الدولة المجاورة لها في شرق القارة الأوروبية، و إزدياد نشاطها

(1) Fernand Braudel: «Les Espagnoles et L'Afrique du Nord de 1492 -1577», R.A, t69, Alger 1928, p195.

(2) ستانلي بول : **قصة العرب في إسبانيا**، عت.علي الجار بك، دار المعاري، مصر 1944 ، ص26 .

البحري في حوض البحر المتوسط هو الباعث على قلق إسبانيا خاصة بعد إتمام وحدتها[1] . لكن الوضع السائد في المغرب الإسلامي، حفَّز إسبانيا و البرتغال و أدخلهما في تنافس من أجل إحتلال سواحله، فكان الصراع بينهما على أشدِّه لاحتلال الضفة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط ، لكن بمباركة من الكنيسة، تمّ تقسيم مناطق النفوذ بينهما، حيث كان المغرب الأوسط و الأدنى من نصيب إسبانيا ، أما السواحل الأطلسية للمغرب الأقصى فكانت من نصيب البرتغال [2] .

و لما كان التوتر قائما بين البرتغال و إسبانيا، لم تغفل هذه الأخيرة عن الأوضاع الجارية، بالمغرب من خلال جواسيسها كالتقارير التي يرسلونها، منهم الكونت دي تيندیا (Tendille Conte de) ، الذي قدم تقريرا عن تكلفة الحملة المادية و البشرية، لكن مخططه لم يحظى بالقبول[3] .

عقب سقوط غرناطة ، أوفدت الملكة إيزابيلا مبعوثا يُدعى لورينزو دي باديا(Lorenzo de padilla) في مهمة تجسّسية سنة (899هـ/1493م) إلى تلمسان، وقد جاء في تقريره :" أن كل البلاد في حالة يبدو أنّ الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة"[4].كما أوكل الكاردينال أخسيمنس المهمة إلى تاجر بندقي : جيرومينوفيانيللي)

---

(1) الغالي الغربي : **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية كالمشرق العربي (1288-1916م)** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007م ، ص17

(2) درويش الشافعي :**علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن (10هـ/16م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، (2010-2011م) ، ص13 .

(3) عائشة غطاس و أخريات :**الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها**، منشورات المركز الوطني، الجزائر 2007م، ص14 .

(4) جوف باتيست وولف :**الجزائر و أوروبا(1500-1830م)** ، نع.أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1686م، ص24 .

(Geromino Vianiell)الذي كان له الفضل الكبير في توجيه الإسبان نحو نحو المرسى الكبير و وهران[1] .

قام فيرديناند بإرسال جاسوس سنة (900هـ/1494م) يُدعى فيرناندو دو زافيرا (Fernando de Zafira) [2]، الذي له وضعيته بإعطاء وصف دقيق لمدينتي فاس و تلمسان . وبهدف الحصول على المعلومات التي يحتاجها الإسبان للسيطرة على بلدان المغرب الإسلامي، تنكّر هؤلاء الجواسيس في زيّ تجّار[3] . و من هذا المنطلق ، وضعت المملكة الإسبانية آلية إحتواء و إحتلال لسواحل و موانئ المغرب الإسلامي[4] . ففي مطلع القرن (10هـ/16م) شرعت إسبانيا في حملاتها ، فاحتلت ميناء المرسى الكبير (911هـ/1505م)، وتولي بيدرو نافارو (Pedro Navaro) [5] لقيادة الأساطيل الملكية ، إتّسع نطاق العمليات الإسبانية، فتمكّن من إحتلال وهران سنة

---

(1) Elie de la Praimaudaie: **le Commerce et la navigation de L'Algérie**, CH, Lahure, Paris1861, p 242.

(2) كان يعمل كاتبا لدى الملوك الكاثوليك ،كما كُلّف أيضا منذ سنة 1492 بمراقبة حركة الأندلسيين المهجّرين إلى سواحل المغرب الإسلامي. يُنظر : Braudel: « Les Espagnoles...», Op.cit, p211.

(3) محمد خير فارس :المرجع السابق، ص 18 .

(4) عبد الجليل التميمي :**التشكل الإداري و الجغرافي والسياسي للإيالات العثمانية بالجزائر و تونس و طرابلس الغرب (1577-1588م)**، في كتاب تقديري للأستاذ خليل الساحلي أوغلو(جمع وتق.عبد الجليل التميمي)، سيرمدي ، زغوان 1997م ، ج2 ، ص ص 251-252 .

(5) **بيرو نافارو (Pedro Navaro)**: قبطان إسباني ولد في بسكاي، وتوفي في نابولي سنة 1525م، رقّاه الملك فيرديناند إلى رتبة النبلاء و منحه مُقاطعة الفيتو، قاد الجيوش التي إحتلت وهران، بجاية و طرابلس و إبتداءا من 1515م إنتقل إلى خدمة فرنسوا الأول يُنظر :

Nouvelle Biographie Générale depuis les temps les plus recules jusqu' à nos jour, 47T, M M. Firmin Didot Frères, Paris 1857, t37, pp536-537.

(915هـ/1510م) [1]، و أيضا طرابلس سنة (916هـ/1510م) [2]، وبعد إستيلاء بيدرو نافارو على هذه الأخيرة، قرّر مهاجمة جزيرة جربة لكنه مني بالفشل[3] .

كاف فيرديناند يأمل في الاستيلاء على القل و عنابة كسواحل تونس، ليتمكّن من التحكم في المضيق الصقلي، و يغلق المتوسط الغربي في وجه العثمانيين لكنّ ذلك لم يتحقّق لتقلّب السياسة الإسبانية، لأن التوسع في إفريقيا لم يكن ممكنا إلا في فترة سلم في أوروبا، و قد أدى إستئناف الحرب في إيطاليا ، إلى توقف النشاط الإسباني [4]. و بذلك ضيعت إسبانيا فرصت توطيد أقدامها في الشمال الإفريقي ، و رغم هذا إستطاعت في بضع سنوات أن تسيطر على النقاط الرئيسية في سواحل المغرب الأوسط .

كما كان بإمكانها أن تتوغّل في الداخل مستغلة حالة الضعف كالتمزُّق السائدين فيها، لكنّها لم تتمكّن من ذلك و إكتفت بإحتلال السواحل لأسباب عديدة منها شدّة المقاومة الداخلية إلى جانب الصراع الفرنسي الإسباني خاصة عندما انتخب ملك إسبانيا إمبراطورا لها [5] .لكن هناك عاملا آخر و هو الأهم بالنسبة للعوامل السابقة و يتمثل في تدخل العثمانيين لإنقاذ المغرب الأوسط من التهديد الإسباني ، فكان هذا التدخل ضربة قاسية للمشروع الإستعماري ممّا وضع حدّا للتدخل الإسباني في الشؤون الداخلية للبلاد الإسلامية .

---

(1) الحسن بن محمد الوزان: **وصف إفريقيا**، عت.محمد حجي وآخرون،2ج، ط2 ، 1983، ج2، ص ص51 – 31 .

(2) جلال يحيى : **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر** : المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 1983م، ص 60 .

(3) الوزان : المصدر السابق، ج 2 ، ص95 .

(4) هربرت فيشر: المرجع السابق، ص ص . 83 – 82 .

(5) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار :**التاريخ الأوربي الحديث من عصر النّهضة إلى مؤتمر فيينا**، دار النهضة العربية، بيروت 1974م، ص ص 72–80 .

2-الدوافع و الاسباب:

لا يمكن اعتبار أنَّ هذه الحملات جاءت من باب الصدفة، فقد كانت لها أسباب و دوافع ، و إن طغى بعضها على الآخر . لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : ماهي الدوافع المحركة لهذا الغزو ؟ و ما طبيعة الأهداف التي كانو يتوقون إلى تحقيقها؟ و للإجابة على هذا السؤال نستعرض بعض الدوافع التي التي نرى لها أهمية .

أوّلا- الدوافع الدينية : بعد سقوط غرناطة دفع التطرف الديني ، و التعطُّش إلى التبشير ، و العزم لتقليص حدود الإسلام إنطلاقا من القرن الخامس عشر و طيلة القرن السادس عشر الميلادي بالإسبان إلى التدخُّل في بُلدان المغرب الإسلامي [1].فقد كانوا يطمحون إلى نقل الحرب إفريقيا للتخلص من خطر المسلميين المغاربة، و العمل على تمسيحهم [2]. فمُلوك إسبانيا جعلوا من ذلك قضيتهم الأولى ، والدَّال على ذلك أنه في مراسلاتهم المتعلقة بقضايا إفريقيا، كانوا يقحمون العامل الديني في سياستهم ، فالسياسة الخارجية لفيرديناند قد نصّت على إقامة السلم بين المسيحيين و إعلان الحرب على المسلمين " [3] .كما أنه (فيرديناند) كان دائما يردِّد أنه في خدمة الرب ، و أنه يتفانى في خدمة ديانته المقدسة و أنه سيضرب أعداء الديانة الكاثوليكية)[4](.

---

(1) لقد كان في نية فيرديناند وإيزابيلا مواصلة الحملة إلى ما وراء البحر المتوسط لمطاردة المسلمين الذين كانوا يأتون لنصرة إخوانهم في إسبانيا .يُنظر :

Henry De Castries: **Les Sources inédites de l'histoire du Maroc**, Archives et bibliothèques d'Espagne, 21T, Paris et Madrid 1921, t1, p1.

(2) Braudel: « **Les Espagnoles**...», op.cit, p199.

(3) عبد الجليل التميمي : **الخلفية الدينية للصراع العثماني – الإسباني على الإيالات المغاربية في القرن السادس عشر**، م.ت.م ، ع 10-10 ، تونس 1978م ، مرجع سابق ،ص8 .

(4) Braudel : « **Les Espagnoles...** » op.cit, p199.

و كان البابا ألكسندر – بورجيا الشهير – (Alexandre VI Borgia) [1] ذو الأصل الإسباني ، قد أصدر مرسوما بابويا خلال سنة (900هـ/1494م) يبارك فيه الحرب الصليبية في إفريقيا[2] .

كما وافقت الكنيسة على فرض ضريبة [3] على المسيحيين لصالح المُلوك الكاثوليك الإسبان دعما لهذه الحرب الصليبية المقدّسة. إضافة إلى ذلك فقد منح هذا البابا الولاية لملكي اسبانيا على كامل الارض التي يغزوانها في المغرب الاسلامي ، هؤلاء الذين لم ينسوا ابدا ثلاثة امور غذت نزعتهم الدينية [4].

ان جنود الفتح الاسلامي الاسباني ، قدمو من يلاد المغرب في اطار الفتوحات الاسلامية الكبرى بقيادة طارق بن زياد .

---

(1) **ألكسندر السادس بورجيا** (Alexandre VI Borgia) (1431–1503م) : من مواليد جاتيفا (Jat Iva) في انتخب البابوية عام (1492–1504م) ، فكان في سلوكه و طموحاته أقرب إلى الحكام العلمانيين، كما اشتهر بقسوته في تنظيم الحرب ضد المسلمين . يُنظر صالح اكليل : سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، معهد التاريخ ، جامعة باتنة(2006–2007م) ، تهميش3 ، ص6 .

(2) أحمد توفيق المدني : **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492–1792م)** ، ط1 ، دار البصائر ، الجزائر 2007م ، ص72 .

(3) **ضريبة لاكروزا** (La cruzada) : كانت تشمل كلّ رعايا الملك الكاثوليكي، و البابا كان يدفعها كل خمس سنوات ، في البداية كانت تُسلّم إلى حُكام إسبانيا المسيحية ضدّ المسلمين ، و بقيت هذه الضريبة حتى سقوط غرناطة، و كل رعايا الملك كانو مُجبرين على شاء قسيمة هذة الضريبة . يُنظر الهامش رقم 1 في :
Braudel : « **Les Espagnoles…** » op.cit, p201.

(4) Sander(Range) et Denis (Ferdinand) : **Fondation de la Régence d'Alger Histoire des Barberousse**, 2T, Librairie de L'Eveche Oriental, 1837, t2, pp9–10.

ان الممالك المسيحية استغلت عوامل الفتنة والانقسام ، عندما انقضت على الامارات الاسلامية ، التي كانت النجدات تصلها فيما يشبه فتحا جديدا من بلاد المغرب الاسلامي ، خاصة في عهد القوة (الموحدين).

وان المسلمين الذين كانو يضطرون الى الفرار اما الانتصارات الاسبانية المتتالية ، وجدو ملجأ في المغرب واستثارو اهله للجهاد .

كما ان ورد في وصية الملكة ايزابيلا بعد موتها :" انه يجب مواصلة فتح افريقية ، وعدم الانقطاع عن المحاربة من اجل الدين ضد اعداء الدين "[1] ,لكن الموت المفاجئ للملكة سنة (910هـ/1504م)قد أخّر تنفيذ العدوان إلى وقت لاحق .

تزعم الكاردينال أخسيمنس هذه الحرب ،حيث ساهم بقسط كبير في تسليح الأسطول الاسباني ، كما وجه نداءا إلى كل الكنائس الاسبانية ،لدعم هذه الحرب المقدسة بكل ما أوتيت، ولم تتأخر فعلا في إرسال مبالغ مالية معتبرة [2]. ومن الرهبان من باع كنيسته ، بل وحتى أواني منزله الفضية ،مما يوضح لنا مدى الاهمية والحماس الذي كان وراء غزو سواحل المغرب الاسلامي[3]

(1) Léon Fey: **Histoire d'Oran avant**, pendant et après la domination Espagnoles, Topographie Adolphe Ferrier éditeur, Oran 1858, p57.

(2) Marsolier: **Histoire du ministère du cardinal Ximenez**, archevêque de Tolède (3) et régent d'Espagne, Toulouse 1643, p318.

(3) Braudel: « **Les Espagnoles…** » op.cit, p202

و بعدما احتلال المرسى الكبير سنة (911هـ/1505م)، أقام أخسيمنس صلاة جماعية ، بعد أن حوّل المساجد إلى كنائس، و قد أحدث النصر بالنسبة لهم موجة عارمة من الفرح و السرور.

و ضع هذا الكاردينال مُخططا مبنيا على عدّة جوانب؛ منها ما هو معنوي ديني، و الآخر مادي، هذا الأخير الذي زاد من أطماع رجال الدّين في الخيرات التي تدرّها المُستعمرات على بعض أسواق الساحل الإفريقي، قصد تأمين التجارة الإسبانية بتصفية الوجود البحري الإسلامي في المتوسط، كتهيئة الأراضي المحتلة، كالمراكز بكيفية تساعد على خنق الاقتصاد الإسلامي، و تمنع من استرداد الأهالي لهذه المراكز مدّة طويلة [1].

ثانيا–الدوافع السياسية : بعد توحيد إسبانيا حلم ملوكها في إنشاء إمبراطورية واسعة الأرجاء،و هذا لن يتأتى إلا بإحكام سيطرتهم على الحوض الغربي للمتوسط، و لن يتسنى لهم ذلك إلاّ باحتلال سواحل المغرب الإسلامي ، كما أنّ تزعمهم للعالم المسيحي لا يتمُّ إلا عن طريق زيادة شعبيتهم بغزوهم لمناطق إسلامية [2]. من بين الذين غذوا هذه النزعة شارلكان (Charle Quint) [3] الذي كان يعتبر نفسه سيد العالم،

---

(1) التميمي :الخلفية الدينية.... ، مرجع سابق، ص9

(2) عمار بن خروف ، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن (10هـ/16م)**، 2ج، دار الامل ، الجزائر 2006 ، ج1 ، ص19 .

(3) **شارلكان (Charle Quint)** : عين ملكا على إسبانيا سنة 1516م ، و تولى إمبراطورا لألمانيا بالوراثة سنة 1519م ، حدثته نفسه بأن يملك أوروبا كلها، فوجد أمامه خصما عنيدا هو فرنسوا الأوّل (Francois1)، وجّه ضدّه أربع حروب أضعفه بها، كما وجّه أسلحته ضد العثمانيين، و لما أدرك أنّ أطماعه بعيدة التحقق، استقال من الحكم سنة

و خليفته فليب الثاني (Philippe2) [1] الذي كانت له سياسة العظمة و التوسع، و كان مشروعه هو الهيمنة على كل الحوض المتوسطي [2].

كان ظهور العثمانيين في الحوض الغربي قد عرقل المخططات الإسبانية، بالإضافة إلى الاهتمامات الخارجية لإسبانيا في العالم الجديد و مشاكل أوروبا حال دون تأكيد سيطرتها بشكل دائم [3] .

ثالثا- الدوافع الإقتصادية : نرجعها إلى حالة إسبانيا بعد انهيار النظامين الاجتماعي و الاقتصادي الإسلاميين فيها، و إبعاد المُسلمين عن البلاد، حيث كانوا دعامة الاقتصاد و خلايا العمل ، كما أثّر طرد اليهود على المعاملات المالية و القروض التي غابت بغيابهم . كل هذا أدخل إسبانيا في مشكل اقتصادي، ممّا أدى بها للبحث عن حلول خارج بلادها [4].

في هذه الحالة لم يبق للإسبان من سبيل سوى الاندفاع إلى الغزو، و اكتساح المغرب الإسلامي و إخضاعه لحكمهم لوضع حلٍّ لهذه الأزمة، لأن المنطقة أشتهرت بأنّها

---

(1) **فليب الثاني (Philippell)** : بن شارل الخامس، و لد سنة 1527م ، و اعتلى العرش سنة 1566م ، انتهج سياسة معادية للفرنسيين بسبب الممتلكات الإيطالية، كما تبنى سياسة الطرد ضدّ الموريسكيين بين سرتي 1559 و 1571م . =انتصر في عهده التحالف المسيحي في معركة ليبانت سنة 1571م، لكنه فشل في الحفاظ على تونس سنة 1574م، يُنظر : إبراهيم سعيود : الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر 2009-2010، ص80 .

(2) محمد المطوي العروسي :**الحروب الصليبية في المشرق و المغرب**، ط2 ، دار الغرب الإسلامي لبنان 1986م، ص216 .

(3) التميمي : **الولايات العربية و مصادر وثائقها في العهد العثماني**، جمع وتق .عبد الجليل التميمي، ط11 ، الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس 1984 ، ص74 .

(4)احمد توفيق المدني المدني : المرجع السابق، ص ص79 - 78

مهد للخيرات، و منبع للثروات المختلفة من المحاصيل الزراعية إلى الثروة الحيوانية، و كذلك سواحل المرجان(1) .

بالإضافة إلى إحتكار التجارة الخارجية للمغرب الإسلامي، و الولوج إلى أعماق إفريقيا نحو بلاد السودان الغنية بالذهب (2). كما أنّ رغبة إسبانيا في القضاء على النشاط البحري للمسلمين ، كان لحماية طريق مواصلاتها مع جزيرة صقلية التي تزوّدها بالحبوب (3) .

و لمّا كانت القرصنة تذرُّ أرباحا كثيرة ، فقد حوّل التُّجار الإسبان كل من وقع في قبضتهم من سكان إفريقية الزنجية أو سكان المغرب الإسلامي، إلى عبيد سُخِّروا للأعمال الشاقّة، وعمّرت بهم أمريكا (4) .

كما أنّ إخضاع الإسبان للمغرب الإسلامي، سوف يقضي على القرصنة الإسلامية التي نشأت على ضفافه، و التي كانت تقابل العدوان بالمثل، و بالتالي يصبح البحر المتوسط بحرا إسبانيا، حيث يمكنها تشكيل وحدة اقتصادية قوامها الاتصال المباشر بتُ شمال المتوسط و جنوبه في الحوض الغربي منه، و تُحيي بذلك البحيرة الرومانية (5).

رابعا-الدوافع العسكرية : كانت السواحل الإسبانية تعاني باستمرار من هجمات البحارة المسلمين، و كان نشاط القرصنة الذي يشمل سواحل الأطلنطي إلى أودية جربة يذرُّ أرباحا

---

(1) عمر محمد الباركني :**الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي، طرابلس 1952م ، ص 6-7 .

(2) بن خروف :المرجع السابق، ص 16 .

(3) شارل أندري جوليان : **تاريخ إفريقيا الشمالية** ، ت ع.محمد مزالي و البشير بن سلامة، 3ج ، ط2 ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1983م، ج2، ص448 .

(4) MoulayBelhamissi : **Les captif Algériens et l'Europe chrétienne (1518-1830)**, ENAL, Alger1988, p68.

(5) صالح كليل :المرجع السابق، ص86 .

كثيرة على الموانئ المغربية؛ ففي طنجة و نهر العرائس و وهران و الجزائر و بجاية و بنزرت و تونس و موانئ أخرى كانت السفن و المراكب تُسلّح لمهاجمة السفن المسيحية . و القرصنة لم تكن شيئا جديدا في البحر المتوسط الغربي ، فمنذ قرون كان المسلمون و المسلمون يتهمونها (1).

و قد وصفت القرصنة في بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، بأنها إستراتيجية تسمح بشن الحملات ، و لذلك إرتبطت بتلك الحروب التي قامت في أوروبا ثمّ إتّسع نطاقها مع ظهور الدولة العثمانية على السواحل الجنوبية للمتوسّط (2) .

لكن القرصنة المسيحية تراجعت عبر السنين، عكس نظيرتها المسلمة التي عرفت تطورا خصوصا بعد نزوح مسلمي الأندلس إلى المغرب الإسلامي، حيث عرفت منعرجا جديدا في الموانئ المغربية (3) . فمنذ سقوط إشبيلية في يد الإسبان سنة (783هـ/1371م)، تمكّن المغاربة بفضلهم من إتقان الملاحة و القرصنة (4) .

لكن بعد سقوط غرناطة، أخذت السفن الإسبانية تطارد البحارة المسلمين، متّخذة منها ذريعة للإعتداء على سواحلهم (5) .ثمّ جاءت ثورة البشارات (905-

---

(1) Braudel: « **Les Espagnoles…**», op.cit, p207.

(2) جمال سهيل : **البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاد الفرنسي خلال القرن (11هـ/17م)**، رسالة معدّة لنيل شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث، غير منشورة، المركز الجامعي بغرداية، -(2010-2011م) ، ص77

(3) إبراهيم سعيود :**الأسرى المغاربة**... ، مرجع سابق، ص 116 .

(4) محمد الأمين بلغيث : **فصول في التاريخ و العمران بالمغرب الإسلامي**، ط1 ، منشورات انترسيني، الجزائر 2007م، ص58 .

(5) (Henri.D) De Grammont: **Histoire D'Alger sous la domination Turque (1515-1830)**, Ernest. Lerroux éditeur, Paris, 1877, p5

908هـ/1499-1502م) و تخيّر المُشاركون من أعل غرناطة بين التنصير و النفي [1]. فاختارت الأغلبية الهجرة إلى أقاليم المغرب الإسلامي . و بالنسبة للمسلمين فالقرصنة جهاد بحري ضدّ الصليبيين، لتأخذ بعدا إنسانيا لإنقاذ آلاف المُسلمين الفارين من إسبانيا [2]. لذلك اندفعت إسبانيا إلى العمل البحري السريع في سواحل المغرب الإسلامي، نتيجة الخوف من ردّة فعل سريعة ومُنظمة في حالة قيام كيان سياسي موحّد، يمكن له إستعادة الأندلس من جديد[3]

شرعت إسبانيا في التفكير في استراتيجية عسكرية، و هي نقل الحرب إلى أراضي المغرب الإسلامي، من خلال إحتلال أهم المدن التي بدون موانئها لا يمكن الحديث عن نشاط بحري .

خامسا-الدوافع الإستراتيجية : كان حرص الإسبان على إحتلال السواحل الإفريقية ، نابع من رغبتهم في القضاء على النشاط البحري للمسلمين و مُحاصرتهم ، ولا شكّ أن ذلك كان يندرج ضمن الفكرة التي صرّح بها الملاّح البرتغالي فادسكو دي غاما، عندما وصل إلى رأس الرجاء الصالح بقوله :" الآن قد طوّقنا العالم الإسلامي ، وما علينا أن نشُدّ الخيط ليختنق" ، فكان إحتلال المواقع الإستراتيجية ضرورة ملحّة تطلّب تحقيقها في تلك الأثناء.

---

(1) Panella Guane: **Le transfert des Moriscos Espagnoles en Afrique du nord**, une étude sur les Moriscos Andalous en Tunisie, publées par M. de Epalza et Petit, Tunis 1973, p97.

(2) نجيب دكاني : المرجع السايق ، ص21 .

(3) Lopez (R-S): **Naissance d' Europe, Casterman**.Coll (Moi, Mémoires), Paris 1968, p203.

كما أن إنشاء حاميات إسبانية في الموانئ المغاربية يحول دون الإتّصال بين أهالي المغرب الإسلامي وبين مسلمي الأندلس ، ودون حصول هؤلاء على أية مساعدة من طرف إخوانهم، و تحرّم على هؤلاء الأخيرين الجهاد البحري إنطلاقا من الموانئ المغربية ، و يكفّون أنفسهم بذلك عن الأضرار التي يلحقها بها المجاهدون، كما يؤمنون خطوط مواصلاتهم بين إسبانيا و إيطاليا ، و يتّخذون القواعد الأمامية منطلقا لغزو المناطق الداخلية (1).

(1) بن خروف ، المرجع السابق ، ص16 .

الفصل الثاني

استغاثة أهل الاندلس وجهود العثمانيين لانقاذهم

المبحث الأول : إستغاثة مسلمي الأندلس بالسلطان بايزيد الثاني

1 - ظروف تولي بيازيد الجكم
2 - جهوده اتجاه مسلمي الأندلس

المبحث الثاني : السلطان سليم الأول و تغير السياسة العثمانية

1 - أسباب تغير السياسة العثمانية
2 - الصراع الصفوي العثماني
3 - الصراع العثماني المملوكي
4 - الصراع العثماني البرتغالي

المبحث الثالث : السلطان سليمان القانوني و موقفه من مسلمي الأندلس

1 - إستغاثة أهل الأندلس بسليمان القانوني
2 - التحديات التي واجهت سليمان القانوني

المبحث الأول : إستغاثة أهل الأندلس و جهود العثمانيين لإنقاذهم

بعد وفاة السلطان محمد الفاتح تولى ابنه بايزيد الثاني (886هـ - 1481هـ/ 918 -1512م) السلطة في البلاد وكان سلطاناً وديعاً، نشأ محباً للأدب، متفقهاً في علوم الشريعة الإسلامية شغوفاً بعلم الفلك. واستعان بالخبراء الفنيين اليونانيين والبلغاريين في تحسين شبكة الطرق والجسور لربط أقاليم الدولة ببعضها [1].

1-ظروف تولي بيازيد الحكم

1-1 - الصراع على الحكم :

كان الأمير جم [2]عندما بلغه وفاة أبيه يقيم في بروصة[3]، وقد استطاع أن يتحصل على اعتراف السكان به سلطاناً على الدولة العثمانية في المناطق الخاضعة له[4]، وبعد أن استتب له الأمر في بروسه وما حولها، أرسل إلى أخيه بايزيد يطلب منه عقد الصلح، ويقترح عليه التنازل، ورفض السلطان بايزيد ذلك لأن والده أوصى له بالحكم من بعده، لكن الأمير جم لم يقتنع بذلك فعاد واقترح على أخيه بايزيد تقسيم الدولة العثمانية إلى قسمين:

القسم الأوربي لبايزيد والقسم الآسيوي له، ولكن بايزيد رفض أيضاً مبدأ التقسيم من أساسه لأن ذلك سوف يعمل على تفتيت الدولة التي سهر أسلافه على بنائها وتوحيدها،

---

(1) إسماعيل أحمد ياغي:**الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط1،مكتبة العبيكان، الرياض 1996م، ص50.

(2) **الأمير جم** : من الأمراء العثمانيين الذين كتبوا الشعر، ويعتبر شخصية مرموقة في تاريخ الأدب التركي لا نكاد ان نجد من يماثلها، فقد كان شاعرا رقيقا وثقافته الإسلامية اتضحت في تضمينه لآيات الذكر الحكيم ولأحاديث الرسول الكريم في ثنايا ما كتبه من شعر كما ان غربة جم عن وطنه لها اثر كبير شعره .أنظر: يلماز ازوتونا ، **موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري ،ص121**

(3) **بورصا** : كانت بورصة عاصمة لولاية عثمانية بين 1326م و 1365م. وفي فترة العثمانيون كان يطلق عليها (خداوندكار) وتعني هدية الله، بينما أشهر ألقابها حاليا هو "**Yeşil Bursa**" وتعني "بورصة الخضراء "

(4) كارل بروكلمان : **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، تر نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت 1968م، ص 54.

وأصر على أن تبقى الدولة موحدة تحت سلطته وأعد جيشاً ضخماً وسار به إلى بروصة وهاجمها وفر منها جم إلى سلطان المماليك قايتباي(1) في مصر، فرحب به وأكرمه وأمده بجميع ما احتاجه من أموال للسفر مع أسرته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج (2)ولما عاد من الأراضي المقدسة إلى مصر أرسل إليه السلطان بايزيد يقول له : " بما أنك اليوم قمت بواجباتك الدينية في الحج، فلماذا تسعى إلى الأمور الدنيوية، من حيث أن الملك كان نصيبي بأمر الله، فلماذا تقاوم إرادة الله؟ " فأجابه بقوله : "هل من العدل أن تضطجع على مهد الراحة والنعيم وتقضي أيامك بالرغد واللذات، وأنا أحرم من اللذة والراحة وأضع رأسي على الشوك(3)؟ " وقام جم بالاتصال بكبار أتباعه في الأناضول، وأثارهم ضد بايزيد، وتقدم بأتباعه ليغتصب العرش، ولكنه هزم، واستأنف المحاولة فهزم أيضاً(4) .

والتجأ جم إلى رودس حيث يوجد بها فرسان القديس يوحنا، وعقد مع رئيس الفرسان اتفاقاً إلا أنه نقضه تحت ضغط بايزيد وأصبح جم سجيناً في جزيرة رودس، وكسب فرسان القديس يوحنا بهذه الرهينة الخطيرة امتيازات طوراً من بايزيد الثاني، ومرة أخرى من أنصار جم بالقاهرة، فلما تحصل على أموال ضخمة باع رهينته للبابا أنوست الثامن (5)، فلما مات هذا البابا ترك جم لخلفه اسكندر السادس ولكن الأخير لم يبق على جم كثير حيث قتل واتهم

---

(1) **قايتباي:** السلطان الملك الأشرف ابو النصر سيف الدين قايتباى المحمودى الظاهرى (1412 – 1496م)، سلطان الدوله المملوكيه البرجيه. حكم 26 سنه وبيعتبر من أكبر سلاطين الدوله المملوكيه .من أبنيته المشهوره " قلعة قايتباى " فى اسكندريه ، انظر، شفيق مهدى: **مماليك مصر و الشام**، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2008م.

(2) محمد فؤاد كوبريلي : **قيام الدولة العثمانية**، تقديم أحمد السعيد سليمان و أحمد عزت عبد الكريم، تر أحمد السعيد سليمان، ط1، دار الكتاب العربي للنشر و التوزيع،بيروت 1995م، ص57.

(3) يوسف آصاف: **تاريخ سلاطين آل عثمان** ، ط1 ، دار غريب للطباعة ، القاهرة 1988م ، ص63 الى 65.

(4) إبراهيم بك حليم : **تاريخ الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمية)**، ط1 ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت 1988م ، ص ص 71– 72.

(5) **أنوست الثامن** ، وُلِد باسم جوفاني باتيستا شيبوجنوا (1432 -1492 م) ، البابا الكنيسة الكاثوليكية الثالث عشر بعد المئتين من عام 1484 م حتى موته. أنظر:

Dictionnaire, Encyclopédie des Noms propres de la langue Française, Hachette, Paris 1991, p465

في ذلك بايزيد الثاني الذي تخلص من خطر أخيه(1).

1-2 – علاقة السلطان بايزيد من المماليك :

حدثت معارك بين العثمانيين والمماليك على الحدود الشامية إلا أنها لم تحتدم إلى حد التهديد بحدوث حرب شاملة بينهما، وإن كانت قد أسهمت في أن يخيم شعور بعدم الثقة بينهما الأمر الذي أدى إلى تعثر مفاوضات الصلح سنة(897هـ/ 1491م) ومع أن السلطان المملوكي " قايتباي " قد ساورته مخاوف من احتمال قيام حرب واسعة بينه وبين العثمانيين سواء لإدراكه ما كان عليه العثمانيون من قوة أو لانشغال جزء هام من قواته في مواجهة البرتغاليين(2)، إلا أن السلطان العثماني " بايزيد الثاني " قد بدّد له هذه المخاوف حيث قام بإرسال رسول من قبله إلى السلطان المملوكي سنة(897هـ/ 1491م) ومعه مفاتيح القلاع التي استولى عليها العثمانيون على الحدود وقد لقي هذا الأمر ترحيباً لدى السلطان المملوكي فقام بإطلاق سراح الأسرى العثمانيين(3)، وأسهمت سياسة بايزيد السلمية في عقد صلح بين العثمانيين والمماليك في نفس السنة ،وظل هذا الصلح سارياً حتى نهاية عهد السلطان بايزيد الثاني عام(918هـ/ 1512م) وأكد هذا الحدث على حرص السلطان بايزيد في سياسة السلام مع المسلمين(4).

1-3 – علاقة السلطان بايزيد الثاني بالدول الأوربية :

استمرت راية الجهاد مرفوعة طيلة عهد السلطان بايزيد وإدراك الأعداء، أنه لايستطيعون مواجهة القوات الجهادية في حرب نظامية يحققون فيها أطماعهم لهذا لجأوا إلى أسلوب خبيث تستروا به تحت مسمى العلاقات الدبلوماسية لكي ينخروا في عظام الأمة

---

(1) إسماعيل أحمد ياغي : المرجع السابق، ص51.

(2) خليل إنالجيك : **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، تر محمد الأرنؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، ليبيا 2002م، ص 75.

(3) محمد فريد : **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة 2012م، ص93

(4) زكرياء سليمان بيومي : **قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين(التحالف الصليبي الماسوني الاستعماري و ضرب الاتجاه الإسلامي)**، ط1،عالم المعرفة ، جدة 1991م، ص66.

ويدمروا المجتمع المسلم من الداخل[1]، ففي عهد السلطان بايزيد وصل أول سفير روسي إلى اسطنبول عام (898هـ / 1492م).

إن وصول السفير الروسي على عهد دوق موسكو إيفان [2] وما تابع ذلك، وما أعطى له ولغيره من حصانة وامتيازات، فتح الباب أمام أعداء الأمة الإسلامية لكشف ضعفها ومعرفة عوراتها، والعمل على إفسادها والتآمر عليها بعد تدميرها وإضعاف سلطان العقيدة في نفوس أبنائها.

وفي عهد با يزيد الثاني في عام (886هـ/1481م) استطاع دوق موسكو (إيفان الثالث) أن ينتزع إمارة (موسكو) من أيدي المسلمين العثمانيين، وبدأ التوسع على حساب الولايات الإسلامية[3].

ولايعني ذلك أن السلطان بايزيد وقف موقفاً ضعيفاً أمام هذه الظروف ولكن الدولة كانت تمر بظروف صعبة في محاربتها لأعداء الإسلام على امتداد شبه جزيرة الأناضول، وأوروبا الشرقية كلها، فانشغلت بها[4].

2- جهوده اتجاه مسلمي الاندلس:

تطورت الأحداث في شبه الجزيرة الأيبيرية في مطلع العصور الحديثة، فأصبح اهتمام الأسبان ينحصر في توحيد أراضيهم، وانتزاع ما تبقى للمسلمين بها خصوصاً بعد ما خضعت لسلطة واحدة بعد زواج إيزابيلا ملكة قشتالة وفرديناند ملك أراغوان، فاندفعت الممالك الأسبانية المتحدة قبيل سقوط غرناطة في تصفية الوجود الإسلامي في كل اسبانيا،

(1) أحمد عبد الرحيم مصطفى : **في أصول التاريخ العثماني**، ط1، دار الشروق، القاهرة 1982م، ص 48 .

(2) **إيفان الثالث** : عاش بين-(1440- 1505م) وحكم بين(1505-1462م) ويطلق عليه أيضا إيفان الكبير، وهو ابن فاسيلي الثاني .أمر في القرن الخامس عشر باستدعاء مهندسين معماريين من روسيا وإيطاليا لتجديد الكرملين.أنظر: Dictionnaire, Encyclopédie des Noms propres de la langue Française, Hachette, Paris 1991, p356

(3) جمال عبد الهادي : **تاريخ الأمة الواحدة (صفحات من تاريخ الدولة العثمانية) (1299-1924م)**، ط1 ، دار النشر و التوزيع،بيروت 1995 م، ص ص49-50.

(4) فتحي زغروت: **النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي**، ط1، دار الأندلس الجديدة،مصر 2009م، ص508.

حتى يفرغوا أنفسهم ويركزوا اهتمامهم على المملكة الإسلامية الوحيدة غرناطة، التي كانت رمز للمملكة الإسلامية الذاهبة(1).

وفرضت اسبانيا أقسى الإجراءات التعسفية على المسلمين في محاولة لتنصيرهم وتضييق الخناق عليهم حتى يرحلوا عن شبه الجزيرة الأيبيرية(2).

نتيجة لذلك لجأ المسلمون – المورسكيون – إلى القيام بثورات وانتفاضات في أغلب المدن الأسبانية والتي يوجد بها أقلية مسلمة وخاصة غرناطة وبلنسية وأخمدت تلك الثورات بدون رحمة ولا شفقة من قبل المملكة الأسبانية التي اتخذت وسيلة لتعميق الكره والحقد للمسلمين، ومن جهة أخرى كان من الطبيعي أن يرنوا المورسكيون بأنظارهم إلى ملوك المسلمين في المشرق والمغرب لإنقاذهم وتكررت دعوات وفودهم ورسائلهم إليهم للعمل على إنقاذهم مما يعانوه من ظلم، وخاصة من قبل رجال الكنيسة ودواوين التحقيق التي عاثت في الأرض فساد وأحلت لنفسها كل أنواع العقوبات وتسليطها عليهم(3).

وكانت أخبار الأندلس قد وصلت إلى المشرق فارتج لها العالم الإسلامي(4)، وبعث الملك الأشرف بوفود إلى البابا وملوك النصرانية يذكرهم بأن النصارى الذين هم تحت حمايته يتمتعون بالحرية، في حين أن أبناء دينه في المدن الأسبانية يعانون أشد أنواع الظلم، وقد هدد بأتباع سياسة التنكيل والقصاص تجاه رعايا المسيحيين، إذا لم يكف ملك قشتالة وأراغون عن هذا الاعتداء وترحيل المسلمين عن أراضيهم وعدم التعرض لهم ورد ما أخذ من أراضيهم ولم يستجيب البابا والملكان الكاثوليكيان لهذا التهديد من قبل الملك الأشراف ومارسوا خطتهم في تصفية الوجود الإسلامي في الأندلس، وجددت رسائل الاستنجاد لدى

(1) راغب السرجاني : **قصة الاندلس من الفتح إلى السقوط**، ط1، مؤسسة إقرأ ، القاهرة 2011 م،ص57

(2) محمد عبده حتاملة : **التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد فيليب الثاني (1527م–1598م)** ،ط1 ، دار المطابع النموذجية، الأردن، 1982م، ص105

(3) عبد الجليل التميمي : **الدولة العثمانية و قضية الموريسكين الأندلس**، مركز الدراسات و البحوث العثمانية المورسكية و التوثيق و المعلومات، زغوان 1989م، ص38.

(4) الأمير شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ص213.

السلطان العثماني بايزيد الثاني، فوصلته هذه الرسالة: (..الحضرة العلية، وصل الله سعادتها، وأعلى كلمتها، ومهد أقطارها، وأعز أنصارها، وأذل أعدائها، حضرة مولانا وعمدة ديننا ودنيانا، السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، قامع أعداء الله الكافرين، كهف الإسلام، وناصر دين نبينا محمد عليه السلام، محي العدل، ومنصف المظلوم ممن ظلم، ملك العرب، والعجم، والترك والديلم(1)، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، ملك البرين وسلطان البحرين، حامي الذمار، وقامع الكفار، مولانا وعمدتنا، وكهفنا وغيثنا، لازال ملكه موفور الأنصار، مقرونا بالانتصار، مخلد المآثر والآثار مشهور المعالي والفخار، مستأثراً من الحسنات بما يضاعف به الأجر الجزيل، في الدار الآخرة والثناء الجميل، والنصر في هذه الدار، ولا برحت عزماته العلية مختصة بفضائل الجهاد ومجرد على أعداء الدين من بأسها، ما يروي صدور السحر والصفاح، وألسنة السلاح بأذلة نفائس الذخائر في المواطن التي تألف فيها الأخاير مفارقة الأرواح للأجساد، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يقوم الأشهاد..)(2).

وكانت ضمن الرسالة أبيات القصيدة يمدح صاحبها فيها الدولة العثمانية والسلطان بايزيد، ويدعوا للدولة بدوام البقاء.

كانت هذه هي رسالة الاستنصار التي بعث بها المسلمون في الأندلس، لإنقاذ الموقف هناك، وكان السلطان بايزيد يعاني من العوائق التي تمنعه من إرسال قواته، بالإضافة إلى مشكلة النزاع على العرش مع الأمير جم، وما أثار ذلك من مشاكل مع البابوية في روما وبعض الدول الأوروبية وهجوم البولنديين على مولدافيا والحروب في ترانسلفانيا والمجر والبندقية وتكوين التحالف الصليبي الجديد ضد الدولة العثمانية من

(1) **الديلم أو الديالمة:** هم إحدى الشعوب الإيرانية التي عاشت في شمال الهضبة الإيرانية، وقد جاء ذكرهم على ألسنة المؤرخين حتى حقبة بدايات انتشار الإسلام .ويذكر أنهم كانوا يتحدثون لغة من فروع اللغات الإيرانية الشمالية الغربية.
أنظر : **المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك** – مصر، ص121

(2) شهاب الدين أحمد المقري : **ازهار الرياض في أخبار عياض**، ط2 ، دار النشر و التوزيع ، الرباط 1987م،ج1، ص ص108-109.

البابا جويلس الثاني[1] وجمهورية البندقية والمجر وفرنسا، وما أسفر عنه هذا التحالف[2] من توجيه القوة العثمانية لتلك المناطق، ومع ذلك قام السلطان بايزيد بتقديم المساعدة وتهادن مع السلطان المملوكي الأشرف لتوحيد الجهود من أجل مساعدة غرناطة ووقعا اتفاقاً بموجبه يرسل السلطان بايزيد أسطولا على سواحل صقلية باعتبارها تابعة لمملكة اسبانيا، وأن يجهز السلطان المملوكي حملات أخرى من ناحية أفريقيا[3].

وبالفعل أرسل السلطان بايزيد أسطولا عثمانياً تحول إلى الشواطئ الأسبانية، وقد أعطى قيادته إلى كمال رايس الذي أدخل الفزع والخوف والرعب في الأساطيل النصرانية في أواخر القرن الخامس عشر[4] ، كما شجع السلطان بايزيد جنوده في البحر بإبداء اهتمامه وعطفه عليهم، وكان العثمانيون قد بدأوا في التحرك لنجدة إخوانهم المسلمين، وفي نفس الوقت كانوا يغنمون الكثير من الغنائم السهلة من النصارى.

كذلك وصل عددٌ كبير من هؤلاء المسلمين أثناء تشييد الأسطول العثماني، ودخلوا في خدمته بعد ذلك أخذ العثمانيون يستخدمون قوتهم البحرية الجديدة في غرب البحر المتوسط بتشجيع منهم[5] وهذا الذي كان في وسع السلطان بايزيد الثاني فعله.

لاشك أن تصرفات جم المشينة كانت سبباً أعاق حركة التوسع الإقليمي وعرقلت

---

(1) **البابا جويلس الثاني** : (1417 .1471 م) هو بابا الكنيسة الكاثوليكية منذ سنة1464 م وحتى وفاته سنة1471 م ولد في البندقية وكان اسمه عند ميلاده بييترو باربو عمل بالتجارة أولًا ثم انتقل إلى سلك الكهنوت مدفوعًا بانتخاب خاله لمنصب البابا، ليترقى في ذلك السلك بسرعة جعلت منه كاردينالًا وهو في الثالثة والعشرين من عمره 1440 م، Dictionnaire, Encyclopédie des Noms propres de la langue Française, Hachette, Paris 1991,p300

(2) عبد العزيز محمد شناوي : **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ملتزم للطبع و النشر، القاهرة1980م، ج2، ص309.

(3) عبد القادر أحمد اليوسف : **علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر و الخامس عشر ميلادي**، ط1، المكتبة المصرية، لبنان1969م، ص256.

(4) شكيب ارسلان : المرجع السابق، ، ص213.

(5) أحمد عبد الرحيم مصطفى : **في أصول التاريخ العثماني**، ط1 ، دار الشروق ، بيروت1982م، ص74.

السلطان بايزيد عن العمل الخلاق، وأصبح اهتمام السلطان منصباً على تعقب أخبار أخيه والعمل على التخلص منه بكافة الوسائل(1).

وعلى العموم، فقد استطاع بايزيد أن يحرز نصراً بحرياً على البنادقة في خليج لبانتوا ببلاد اليونان عام (905هـ/1499م) وفي العام التالي استولى على مدينة لبانتو وباستيلاء العثمانيين على مواقع البنادقة في اليونان، أقام البابا (إسكندر السادس)(2) بناء على طلب البنادقة – حلفاً ضد العثمانيين مكوناً من فرنسا واسبانيا. وتعرض العثمانيون لهجوم الأساطيل الثلاثة: الفرنسي والإسباني والبابوي واستطاعت الدولة العثمانية أن تعقد صلحاً مع البنادقة(3).

وكان بايزيد ميالاً للسلام، ونشطت العلاقات الدبلوماسية بين الدولة العثمانية وأوروبا، وكانت من قبل مقصورة على البلاد الواقعة على حدودها، ولكنها أقيمت بينها وبين البابوية وفلورنسا ونابلي وفرنسا وعقد صلحاً مع البنادقة والمجر.

(1) إسماعيل أحمد ياغي : المرجع السابق، ص52.

(2) **إسكندر السادس:** وُلِد باسم رودريك دي بورخا وبالإيطالية بورجا شاطبة،(1431 – 1503 م) البابا الرابع عشر بعد المئتين للكنيسة الكاثوليكية من سنة1492 م حتى مماته ، أنظر : Dictionnaire Encyclopédie des Noms propres de la langue Française, Hachette, Paris 1991,p300 .

(3) روبير مانتيران : **تاريخ الدولة العثمانية**، تر بشير السباعي، ط1 ، دار الفكر للدراسات، القاهرة 1993م، ج1، ص 112

المبحث الثاني : السلطان سليم الأول و تغير السياسة العثمانية (918- 926هـ / 1512 - 1520م)

تربع السلطان سليم الأول على العرش العثماني في عام (918هـ/ 1512م)وقد اظهر سليم منذ بداية حكمه ميلاً إلى تصفية خصومه ولو كانوا من إخوته وأبنائهم، وكان يحب الأدب والشعر الفارسي والتاريخ ورغم قسوته فإنه كان يميل إلى صحبة رجال العلم وكان يصطحب المؤرخين والشعراء إلى ميدان القتال ليسجلوا تطورات المعارك وينشدوا القصائد التي تحكي أمجاد الماضي(1).

عندما ارتقى السلطان سليم الأول العرش العثماني، كانت الدولة العثمانية قد وصلت إلى مفترق الطرق، هل تظل على هذا الوضع وهذا القدر من الاتساع دولة بلقانية أناضولية؟ أو تستمر في التوسع الإقليمي في أوربا؟ أو تتجه نحو المشرق الإسلامي(2) ؟

والواقع أن السلطان سليم الأول قد أحدث تغييراً جذرياً في سياسة الدولة العثمانية الجهادية فقد توقف في عهد الزحف العثماني نحو الغرب الأوربي أو كاد أن يتوقف واتجهت الدولة العثمانية اتجاهاً شرقياً نحو المشرق الإسلامي

1- الأسباب التي أدت إلى تغير السياسة العثمانية :

وقد ذكر بعض المؤرخين الأسباب التي أدت إلى تغير السياسة العثمانية منها:

1- التشبع العسكري العثماني في أوربا، إذ يرى أصحاب هذا الرأي أن الدولة العثمانية كانت قد بلغت مرحلة التشبع في فتوحاتها الغربية بنهاية القرن الخامس عشر، وأنه كان عليها في أوائل القرن السادس عشر أن تبحث عن ميادين جديدة للنشاط والتوسع وهذا الرأي يخالفه الصواب لأن الفتوحات العثمانية لم تنقطع تماماً من الجبهة الغربية، ولكن لاريب في أن مركز الثقل في التوسع العثماني قد انتقل نهائياً من الغرب إلى الشرق(3) ليس بسبب التشبع كما تقول بعض المصادر غير المدركة للواقع.

---

(1) علي حسون : **تاريخ الدولة العثمانية**، ط1 ، المكتب الإسلامي،دمشق 1980م ، ص148

(2) خليل إنالجيك : المرجع السابق، ص98

(3) إسماعيل أحمد ياغي : المرجع السابق، ص26.

2- كان تحرك الدولة العثمانية نحو المشرق من أجل إنقاذ العالم الإسلامي بصورة عامة والمقدسات الإسلامية بصورة خاصة من التحرك الصليبي الجديد من جانب الإسبان في البحر المتوسط والبرتغاليون في المحيط الهندي وبحر العرب والبحر الأحمر، الذين أخذوا يطوقون العالم الإسلامي، ويفرضون حصاراً اقتصادياً حتى يسهل عليهم ابتلاعه(1).

3- سياسة الدولة الصفوية في إيران والمتعلقة بمحاولة بسط المذهب الشيعي في العراق وآسيا الصغرى، هي التي دفعت الدولة العثمانية إلى الخروج إلى المشرق العربي لحماية آسيا الصغرى بصفة خاصة والعالم السني بصفة عامة(2).

إن سياسة الدولة العثمانية في زمن السلطان سليم سارت على هذه الأسس ألا وهي القضاء على الدولة الصفوية الشيعية، وضم الدولة المملوكية ، وحماية الأراضي المقدسة وملاحقة الأساطيل البرتغالية ودعم حركة الجهاد البحري في الشمال الأفريقي للقضاء على الأسبان ومواصلة الدولة جهادها في شرق أوروبا.

2- الصراع العثماني الصفوي:

لقد تزعم الشاه إسماعيل المذهب الشيعي وحرص على نشره ووصلت دعوته إلى الأقاليم التابعة للدولة العثمانية فكان من الطبيعي أن يتصدى السلطان سليم للامتداد الصفوي ، فأعلن في اجتماع لكبار رجال الدولة والقضاة ورجال السياسة وهيئة العلماء في عام 920هـ/1514م أن الدولة الصفوية ومذهبها الشيعي يمثلان خطراً جسيماً لا على الدولة العثمانية بل على العالم الإسلامي كله وأنه لهذا يرى الجهاد المقدس ضد الدولة الصفوية وكان رأي السلطان سليم هو رأي علماء أهل السنة في الدولة(3).

لقد قام الشاه إسماعيل عندما دخل العراق بذبح المسلمين السنيين على نطاق واسع ودمر مساجدهم ومقابرهم وازداد الخطر الشيعي ضراوة في السنوات الأخيرة من عهد

(1) اسماعيل احمد ياغي ، المرجع السابق ، ص28.

(2) محمد فريد : المرجع السابق ، ص240.

(3) محمد سهيل الطقوس : **تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)**، ط1، دار النفائس ، بيروت 2009م، ص62

السلطان بايزيد وعندما تولى السلطان سليم السلطنة قامت أجهزت الدولة العثمانية الأمنية بحصر الشيعة التابعين للشاه إسماعيل والمناوئين للدولة العثمانية ثم قام بتصفية إتباع الشاه إسماعيل، فسجن وأعدم عدداً كبيراً من أنصار الشاه إسماعيل في الأناضول ثم قام بمهاجمة إسماعيل نفسه، فتداولت الرسائل الخشنة بينهما حسب المعتاد(1)، وكتب السلطان سليم رسالة إلى إسماعيل الصفوي قال فيها: (... إن علمائنا ورجال القانون قد حكموا عليك بالقصاص يااسماعيل، بصفتك مرتداً، وأوجبوا على كل مسلم حقيقي أن يدافع عن دينه، وأن يحطم الهراطقة في شخصك، أنت وأتباعك البلهاء ، ولكن قبل أن تبدأ الحرب معكم فإننا ندعوكم لحظيرة الدين الصحيح قبل أن نشهر سيوفنا وزيادة على ذلك فإنه يجب عليك أن تتخلى عن الأقاليم التي اغتصبتها منا اغتصباً ، ونحن حينئذ على استعداد لتأمين سلامتك..)(2).

وكان رد إسماعيل الصفوي على هذا الخطاب إن بعث للسلطان العثماني هدية من الافيون قائلاً انه اعتقد ان هذا الخطاب كتب تحت تأثير المخدر(3).

أعد السلطان سليم الأول لمعركة فاصلة مع الدولة الصفوية حيث وصل إلى استانبول وبدأ في التحرك من استانبول تجاه الأراضي الصفوية وبعد أن غادر اسكوتراي أرسل يهدد الشاه إسماعيل الصفوي في رسالة يقول فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم قال الله الملك العلام إن الدين عند الله الإسلام ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، ومن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، اللهم اجعلنا من الهادين غير المضلين ولا الضالين وصلي الله على سيد العالمين محمد المصطفى النبي وصحبه أجمعين...)(4).

---

(1) محمد فريد : المرجع السابق، ص ص 189-190

(2) محمد سهيل الطقوس : المرجع السابق ، ص98

(3) محمد عبد اللطيف : **الحروب العثمانية الفارسية و أثرها في انحسار في أوروبا**، ط1، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة 1987م، ص51.

(4) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص52.

وفي نفس الوقت أرسل السلطان سليم الأول إلى أحد أفراد أسرة آق قويونلو [1]وهو محمد بن فرج شاه بيك يحثه على الاشتراك معه في قتال إسماعيل الصفوي، وبدأت حرب الاستطلاع بين المعسكرين المتحاربين، إلا أن سليم الأول قد بدأ التحرك نحو الدخول في القتال حيث عسكر في صحراء ياس جمن على مقربة من أذربيجان، ووصلت الأنباء التي أتت بها عيون ياس جمن تقول أن الشاه إسماعيل الصفوي لا ينوي القتال وأنه يؤخره الى إن يحل فصل الشتاء حتى يهلك العثمانيون برداً وجوعاً[2].

وبدأ سليم الأول يسرع في تحريك الصراع بينه وبين الشاه إسماعيل فأرسل إليه للمرة الثانية وأرسل مع رسالته خرقة ومسبحة وكشكولاً وعصا رمز فرق الدراويش وهو بهذا يقصد الى أن يذكره بأصله، وبأهل الأسرة الصفوية التي لاتستطيع الصمود في الحرب، ومع ذلك فقد رد الشاه إسماعيل بطلب المهادنة وتجديد علاقات السلم والصداقة بين الدولتين، ولم يقبل سليم الأول هذا من شاه الصفويين، وأهان رسوله وأمر بقتل رسول الشاه الصفوي وقد أدرك سليم الأول أن خطة أعدائه تتلخص في المهادنة والتباطؤ لتأجيل موعد اللقاء حتى يحين فصل الشتاء ، واستمر السلطان سليم في تحركه ووصلته الأخبار أن إسماعيل الصفوي قد بدأ الاستعداد للقتال والحرب بل إنه على وشك الوصول إلى صحراء جالديران، فبدأ سليم الأول المسير نحوها فوصلها في أغسطس عام 1514م واحتل المواقع الهامة بها واعتلى الأماكن الهضبية فيها مما مكنه من إيقاع الهزيمة بإسماعيل الصفوي وجنوده وكانت هزيمة ساحقة حلت بالجيش الصفوي الشيعي على أرضه[3].

وأضطر إسماعيل إلى الفرار في نفس الوقت الذي كان سليم الأول يستعد فيه للدخول الى تبريز عاصمة الصفويين.

---

(1) **لآق قويونلو، الآغ قويونلو**: من القبائل التركمانية، حكمت في شرق الأناضول، أذربيجان، فارس، العراق، أفغانستان وتركستان ما بين 1467-1502 م. Historical dictionary of the Kurds, Michael M. Gunter,page 29, 2010

(2) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ص 53-54.

(3) محمد فريد: المرجع السابق، ص191.

ودخل سليم الأول تبريز وحصر أموال الشاه الصفوي ورجال القلزباس و اتخذها مركزاً لعملياته الحربية(1).

لم ينته الصراع بين الدولة العثمانية والصفوية بانتهاء معركة جالديران وإنما ازداد العداء حدة وازداد الصراع ضراوة وظل الطرفان يتربص كل منهما بالآخر.

لقد انتصر السلطان سليم ، وعاد إلى بلاده بعد أن استولى على أجزاء كبيرة ، وبذلك صارت الأناضول مأمونة من الاعتداء من الشرق، وصارت الطرق إلى أذربيجان والقوقاز مفتوحة للعثمانيين(2).

وما أن هزمت فارس في موقعة جالديران السابقة أمام السلطان سليم حتى كان الفرس أنفسهم اكثر استعداداً وتقبلاً من قبل للتحالف مع البرتغاليين وبدأت تلك الاستعدادات للارتباط بالبرتغال ، عندها وصل سفير من لدى شاه إسماعيل وتم الدخول في اتفاقية محدودة ما بين البرتغاليين والصفويين نصت على مايلي:

أن يقدم البرتغال أسطوله ليساعد الفرس في غزو البحرين والقطيف كما يقدم البرتغال المساعدة للشاه إسماعيل لقمع الثورة في مكران وبلوجستان وأن يكوّن الشعبان البرتغالي والفارسي اتحاداً ضد العثمانيين ، إلا أن وفاة البوكرك التي أتت بعد ذلك قد أعاق ذلك التحالف(3).

لقد أظهر البرتغاليون تودداً للشاه إسماعيل قبل معركة جالديران وكانوا يهدفون من وراء تودهم للصفويين أن تتاح لهم فرصة تحقيق أهدافهم في إيجاد مراكز لهم في الخليج العربي، وكانوا يدركون أنهم إذا لم يكسبوا ود الصفويين فإن تعاون قوتهم مع القوى المحلية

(1) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص192.

(2) محمد سهيل الطقوش : المرجع السابق، ص 99

(3) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص192.

في الخليج قد يؤدي الى فشل البرتغاليينَ في تحقيق أهدافهم ولاسيما أن مشروعاتهم في إيجاد مراكز نفوذ في البحر الأحمر منيت بالفشل الى حد كبير[1].

وتبدو سياسة البرتغال الرامية الى التحالف مع الفرس في رسالة ارسلها "البوكيرك"[2] الى الشاه "إسماعيل الصفوي" جاء فيها:

(إني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك، وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند، وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة، وسيجدني الشاه بجانبه على إمتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له كل ما يريد)[3].

لقد أدت هزيمة الشاه اسماعيل امام العثمانيين الى حرصه الشديد للتحالف مع النصارى وأعداء الدولة العثمانية ولذلك تحالف مع البرتغاليين وأقرّ استيلاءهم على هرمز في مقابل مساعدته على غزو البحرين والقطيف الى جانب تعهدهم بمساندتهم ضد القوات العثمانية وقد تضمن مشروع التحالف البرتغالي الصفوي تقسيم المشرق العربي المناطق نفوذ بينهما حيث اقترح أن يحتل الصفويون مصر والبرتغاليون فلسطين[4].

اكتفى السطان العثماني بانتصاره في جالديران واضطر الى الرجوع الى بلاده وترك مطاردة الشاه اسماعيل لعدة أسباب:

1- حدوث نوع من التمرد بين صفوف ضباط الجيش العثماني على متابعة الحرب في فارس بعد أن حقق السلطان هدفه واضعف شوكة اسماعيل الصفوي.

2- خوف السلطان سليم من أن يقع جيشه في كمائن للصفويين إذا توغل في بلادهم.

---

(1) زكرياء سليمان بيومي : المرجع السابق ، ص63.

(2) **ألفونسو دي ألبوكيرك**:(1453-1515م) حيث ينطقها البرتغاليون أفونسو دي ألبوكيرك بحذف حرف اللام لفظا، هو قائد بحري وسياسي برتغالي. له أصول أرستقراطية وعومل معاملة النبلاء. مُنح اللقب البرتغالي فيدالغو ومعناها ابن النبلاء، أنظر: جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول ص 53.

(3) المرجع نفسه ، ص64.

(4) نفسه ، ص64.

3- رأى أن يهتم بالقضاء على المماليك لأن جهاز أمن الدولة العثمانية ضبط رسائل بين المماليك والصفويين تدل على وجود تعاون ضد الدولة العثمانية(1).

وكانت نتيجة الصراع بين العثمانيين والصفويين:

1- ضم شمالي العراق ، وديار بكر الى الدولة العثمانية.

2- أمن العثمانيون حدود دولتهم الشرقية.

3- سيطرة المذهب السني في آسيا الصغرى بعد أن قضى على اتباع وأعوان اسماعيل الصفوي ثم هزيمة الشيعة في جالديران وهذا أشعر الدولة بمسؤوليتها تجاه العالم الاسلامي ، وبخاصة بعد أن أعلن نفسه حامياً للمسلمين(2).

4- شعور الدولة العثمانية بضرورة القضاء على القوة الثانية ألا وهي دولة المماليك(3).

5- أثر الصدام المسلح بين الدولة العثمانية والصفويين على قيمة ايرادات جمارك الدولة العثمانية من الطرق القديمة في الأناضول. لقد هبطت الايرادات بعد سنة(918هـ/1512م) نتيجة الحروب القائمة بين الصفويين والعثمانيين، إذ أقفلت معظم الطرق التجارية القديمة، كما سادها الاخطار ، وصار التبادل التجاري بين الاقاليم الايرانية والعثمانية محدوداً، إذ انخفض ايراد الدولة العثمانية من الحرير الفارسي(4).

6- استفاد البرتغاليون من صراع الصفويين مع الدولة العثمانية وحاولوا أن يفرضوا على البحار الشرقية حصاراً عاماً على كل الطرق القديمة بين الشرق والغرب(5).

7- دخل السرور على الأوروبين بسبب الحروب بين العثمانيين والصفويين وعمل

---

(1) كارل بروكلمان : المرجع السابق ، ص225.

(2) علي حسون: المرجع السابق ، ص56،57.

(3) جميل بيفون: **تاريخ العرب الحديث** ، ط1، دار الامل للنشر والتوزيع القاهرة 1992م، ص3.

(4) نبيل رضوان عبد الحي : **جهود العثمانين لانقاذ الاندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث**، رسالة مقدمة من نبيل عبد الحي رضوان لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي الحديث ، منشورة ، كلية الشريع والدراسات الاسلامية ، أم القرى1987 م، ص237.

(5) المرجع السابق، ص238.

الأوروبيون على الوقوف مع الشيعة الصفوية ضد الدولة العثمانية لإرباكها حتى لاتستطيع أن تستمر في زحفها على أوروبا(1).

3- الصراع العثماني الملوكي :

بعد أن تغلب السلطان سليم الأول على الصفويين في شمال وغربي ايران بدأ السلطان العثماني يستعد للقضاء على دولة المماليك ولقد ساهمت عدة أسباب في توجه العثمانيين لضم الشام ومصر منها:

1- موقف المماليك العدائي من الدولة العثمانية حيث قام السلطان قانصوه الغوري (907-922هـ/1501-1516م) سلطان الدولة المملوكية بالوقوف مع بعض الأمراء العثمانيين الفارين من وجه السلطان سليم وكان في مقدمتهم الأمير أحمد أخ السلطان سليم، وأرادت السلطات المملوكية أن تتخذ من وجود هؤلاء الأمراء لديها أداة لإثارة مزيد من المتاعب في وجه السلطان سليم، كما كان الموقف السلبي للدولة المملوكية في وقوفها المعنوي مع الشاه اسماعيل الصفوي فهي لم تلتزم الحيادة التامة بين العثمانيين والصفويين، وهي لم تتخذ موقفاً عدائياً صريحاً من السلطان سليم(2) .

2- الخلاف على الحدود بين الدولتين في طرسوس في المنطقة الواقعة بين الطرف الجنوبي الشرقي لآسيا الصغرى وبين شمالي الشام. فقد تناثرت في هذه المنطقة إمارات وقبائل تأرجحت في ولائها بين الدولة العثمانية ودولة المماليك. وكان هذا التأرجح مبعث اضطراب في العلاقات بين الدولتين ومصدر نزاع مستمر. وأراد السلطان سليم الأول بادئ ذي بدء أن يحسم مسألة الحدود بالسيطرة التامة على منطقتها وسكانها(3).

3- تفشي ظلم الدولة المملوكية بين الناس ورغبة أهل الشام وعلماء مصر في التخلص من الدولة المملوكية والإنضمام الى الدولة العثمانية، فقد اجتمع العلماء والقضاة والأعيان

---

(1) يلماز ازوتونا : **موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري**، تر.عدنان محمود سلمان، ط1 ،دار العربية للموسوعات، بيروت 1991 ، المجلد1 ص 147 .

(2) ابراهيم حلمي بيك : المرجع السابق ،ص 86

(3) زيادة ابو غنيمة : **جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين** ، ط1 ، دار الفرقان ، بيروت1983م، ص 160

والأشراف وأهل الرأي ، وتباحثوا في حالهم، ثم قرروا أن يتولى قضاة المذاهب الأربعة والأشراف كتابة عريضة ، نيابة عن الجميع، يخاطبون فيها السلطان العثماني سليم الأول ويقولون أن اهالي بلاد الشام ضاقو "بالظلم" المملوكي وإن حكام المماليك "يخالفون الشرع الشريف"، وإن السلطان إذا قرر الزحف على السلطنة المملوكية، فإنهم سيرحبون به، وتعبيراً عن فرحته، سيخرج بجميع فئاته وطوائفه الى عين تاب – البعيدة عن حلب – ولن يكتفوا بالترحيب به في بلادهم فقط، ويطلبون من سليم الأول أن يرسل لهم رسولاً من عنده، وزيراً ثقة، يقابلهم سراً ويعطيهم عهد الأمان، حتى تطمئن قلوب الناس(1).

ولقد ذكر الدكتور محمد حرب أن هذه الوثيقة موجودة في الأرشيف العثماني في متحف طوب كابي في استانبول، رقم 11634 (26) وبين أن ترجمة الوثيقة من العثمانية الى العربية كما يلي : (يقدم جميع أهل حلب: علماء ووجهاء وأعيان وأشراف وأهالي، بدون استثناء طاعتهم وولاءهم –طواعية– لمولانا السلطان قونصوة(2) – وبإذنهم جميعاً، كتبنا هذه الورقة لترسل الى الحضرة السلطانية العالية. إن جميع أهل حلب، وهم الموالون لكم، يطلبون من حضرة السلطان، عهد الأمان، وإذا تفضلتم بالتصريح فإننا نقبض على الشراكسة، ونسلمهم لكم، أو نطردهم، وجميع أهل حلب مستعدون لمقابلتكم واستقبالكم، بمجرد أن تضع أقدامكم في أرض عينتاب، خلصنّا أيها السلطان من يد الحكم الشركسي، احمنا أيضاً من يد الكفار، قبل حضور التركمان، وليعلم مولانا السلطان، إن الشريعة الاسلامية ، لاتأخذ مجراها هنا، وهي معطلة، إن المماليك إذا اعجبهم أي شيء ليس لهم، يستولون عليه، سواء كان هذا الشيء مالاً أو نساءً أو عيالاً ، فالرحمة لاتأخذهم بأحد، وكل منهم ظالم، وطلبوا منا رجلاً من ثلاثة بيوت، فلم نستجب لطلبهم، فأظهروا لنا العداء، وتحكموا فينا ، (ونريد) قبل

(1) محمد حرب : المرجع السابق، ، ص170.

(2) **الأشرف قانصوه** : من بيبردى الغورى الجركسي الجنس هو آخر سلاطين المماليك البرجية ولد سنة **1446** م ثم امتلكه الأشرف قايتباى وأعتقه وعينه في عدة وظائف في خدمته. وفى دولة الأشرف جنبلاط عين وزيرا. ثم نودى به ملكا على مصر سن **1501** م وظل في ملك مصر إلى أن قتل في معركة مرج دابق شمال حلب سنة 1516م.انظر، شفيق مهدى: **مماليك مصر و الشام**، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2008م ،ص 125

أن يذهب التركمان أن يقدم علينا وزيراً من عندكم أيها السلطان صاحب الدولة، مفوض بمنح الأمان لنا ولأهلينا ولعيالنا، أرسلوا لنا رجلاً حائزاً على ثقتكم يأتي سراً ويلتقي بنا ويعطينا عهد الأمان، حتى تطمئن قلوب هؤلاء الفقراء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين)[1].

أما علماء وفقهاء مصر فقد ذكر عبدالله بن رضوان في كتابه: تاريخ مصر (مخطوط رقم 4971) بمكتبة بايزيد في استانبول ، إن علماء مصر يلتقون سرّاً بكل سفير عثماني يأتي الى مصر، ويقصون عليه شكواهم الشريف و يستنهضون عدالة السلطان العثماني لكي يأتي ويأخذ مصر.

لقد كان علماء مصر يراسلون السلطان سليم الأول لكي يقدم الى مصر على رأس جيشه ، ليستولي عليها، ويطرد منها الجراكسة المماليك [2].

4- رأى علماء الدولة العثمانية بأن ضم مصر والشام يفيد الأمة في تحقيق أهدافها الاستراتيجية، فإن الخطر البرتغالي على البحر الأحمر والمناطق المقدسة الاسلامية وكذلك خطر فرسان القديس يوحنا في البحر المتوسط كان على رأس الأسباب التي دعت السلطان العثماني لأن يتوجه نحو الشرق، فتحالف مع القوات المملوكية لهذا الغرض في البداية، ثم تحمل العبء الكامل في مقاومة هذه الأخطار بعد سقوط الحكم المملوكي[3].

ونستدل على ذلك بما قاله السلطان سليم الأول العثماني لطومان باي[4] آخر سلاطين المماليك بعد أن هزمه في معركة الريدانية (أنا ما جئت عليكم إلا بفتوى علماء الأعصار والأمصار ، وأنا كنت متوجهاً الى جهاد الرافضة (ويعني الصفويين) والفجار

(1) محمد حرب: المرجع السابق ، ص170،171.

(2) المرجع نفسه ، ص169.

(3) زكرياء سليمان بيومي : المرجع السابق ، ص70.

(4) **طومان باي:** اخر سلاطين المماليك الشراكسة في مصر، فهو السلطان الوحيد الذي شنق على باب زويلة .استلم الحكم بعد مقتل عمه السلطان الغوري بموقعة مرج دابق بعد أن عينه نائباً له قبل خروجه لقتال العثمانيين، وبعد قتله أجمع الأمراء على اختياره سلطاناً لمصر، أنظر: كتاب **بلاد الشام ابان العهد العثماني**، الدكتور محمد التونجي .ص: 37

(ويعني بهم البرتغاليين وفرسان القديس يوحنا) ، فلما بغي أميركم الغوري وجاء بالعساكر الى حلب واتفق مع الرافضة واختار أن يمشي الى مملكتي التي هي مورث آبائي وأجدادي، فلما تحققت تركت الرافضة، ومشيت إليه)[1].

يروي المؤرخ سلاحثور صاحب مخطوطة فتح نامه ديار العرب –وكان مصاحباً لسليم– أن سليم الأول كان يبكي في مسجد الصخرة بالقدس بكاءً حاراً وصلى صلاة الحاجة داعياً الله أن يفتح عليه مصر[2].

وحقق العثمانيون انتصاراً ساحقاً على المماليك في معركة غزة ثم معركة الريدانية.

4 – الصراع العثماني البرتغالي:

قامت دولة البرتغال في عام(920هـ/ 1514م) بتحريك حملة على المغرب الأقصى يتزعمها الامير هنري الملاح واستطاعت تلك الحملة أن تحتل ميناء سبتة المغربي، وكان ذلك بداية لسلسلة من الاعمال العدوانية المتتالية[3] ثم واصلت البرتغال حملاتها على الشمال الأفريقي حتى تمكنت من الاستيلاء على اصيل، والعرائش ثم طنجة في عام(876هـ/ 1471 م)[4]. وواصلت بعد ذلك أطماعها في مراكز هامة جداً مثل ميناء "أسفى وأغادير، وأزمورة، وماسة"[5].

وأما عن توجه البرتغال الى المحيط الأطلسي ومحاولتهم الإلتفاف حول العالم الاسلامي فقد كان العمل مدفوعاً بالدرجة الاولى بدوافع صليبية شرسة ضد المسلمين ، حيث اعتبرت البرتغال انها نصيرة المسيحية وراعيتها ضد المسلمين ، وقتالهم ضرورة ماسة

(1) زكرياء سليمان بيومي : المرجع السابق ، ص71.

(2) محمد حرب : المرجع السابق ، ص30.

(3) عبدالعزيز نوار ومحمود محمد جمال الدين: المرجع السابق، ص48.

(4) شوقي عبدالله الجمل : **الكشوف الجغرافية البرتغالية والاسبانية، مقالة في كتاب الصراع بين العرب والاستعمار** ، القاهرة 1995م ، ص 97.

(5) المرجع نفسه ، ص ص99–100.

وصارمة ورأت الاسلام هو العدو اللدود الذي لابد من قتاله في كل مكان[1].

وكان الأمير هنري الملاح[2] شديد التعصب للنصرانية عظيم الحقد على المسلمين وقد تحصل هذا الأمير من البابا نيقولا الخامس [3]حقاً في جميع كشوفه حتى بلاد الهند، حيث قال : (إن سرورنا العظيم إذ نعلم أن ولدنا هنري أمير البرتغال، إذ يترسم خُطى والده العظيم الملك يوحنا، وإذ تلهمه الغيرة التي تملك الأنفس كجندي باسل من جنود المسيح، قد دفع باسم الله الى آقاصي البلاد وأبعادها عن مجال علمنا كما أدخل بين أحضان الكاثوليكية الغادرين من أعداء الله وأعداء المسيح مثل العرب والكفرة...) [4].

وقال البوكيرك في خطابه الذي ألقاه على جنده بعد وصوله الى "ملقا" مانصه: (إن ابعاد العرب عن تجارة الأفاوية هي الوسيلة التي يرجو بها البرتغاليون إضعاف قوة الاسلام).

وفي نفس الخطبة قال :(الخدمة الجليلة التي سنقدمها لله بطردنا العرب من هذه البلاد وبإطفاءنا شعلة شيعة محمد بحيث لا يندفع لها هنا بعد ذلك لهيب وذلك لأني على يقين أننا لو انتزعنا تجارة "ملقا" هذه من أيديهم (يقصد المسلمين) لاصبحت كل من القاهرة ومكة أثراً بعد عين ولامتنعت عن البندقية كل تجارة التوابل مالم يذهب تجارها الى البرتغال لشرائها من هناك)[5].

وقال في يومياته: (كان هدفنا الوصول الى الأماكن المقدسة للمسلمين واقتحام

---

(1) بانيكار:**آسيا الوسطى الغربية**، تر،عبد العزيز توفيق جاويد ، ط1 ، دار المعارف ، لبنان 1998م ،ص ص24-25.

(2) **هنري الملاح** : كان أمير برتغالي، وهو الابن الثالث لجواو الأول، ملك البرتغال آنذاك ومؤسس عائلة أفيز .لم يكن إنريكه بحاراً بنفسه، ولكنه حصل على هذا الاسم بسبب تنظيمه للرحلات التي اكتشفت أراضٍ جديدة. ينظر له كالشخص الذي بدأ التوسع الاستعماري الأوروبي .أنظر يسري الجوهري، **الكشوف الجغرافية دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية وتطور الفكر الجغرافي** ، دار النهضة العربية، بيروت 1984م.

(3) **نيقولا الخامس** : (1397-1455 م) ولد باسم توماسو بارينتوتشيلي تقلد منصب البابا من سنة 1447 م الى 1455م للمزيد أنظر :Historical dictionary of the Kurds, Michael M. Gunter,page 29, 2010

(4) يوسف الثقفي : **دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب**، ط2 ، دار الثقة ، القاهرة 1991م، ص58.

(5) المرجع نفسه، ص59.

المسجد النبوي وأخذ رفاة النبي محمد صلى الله عليه و سلم رهينة لنساوم عليها العرب من اجل استرداد القدس(1).

وقال ملك البرتغال امانويل الأول معلناً أهداف الحملات البرتغالية: إن الغرض من اكتشاف الطريق البحري الى الهند هو نشر النصرانية والحصول على ثروات الشرق(2).

وهكذا يظهر للباحث المنصف أن الدافع الديني للكشوف البرتغالية كان من أهم العوامل التي دفعت البرتغال لارتياد البحار والإلتفاف حول العالم الاسلامي، فصدرت المراسيم والأوامر، ورسم الصليب والمدفع كشعار للحملات، وكان القصد من ذلك أن على المسلمين اعتناق المسيحية وإلا عليهم مواجهة المدفع.

وكان الدافع الاقتصادي في الدرجة الثانية كعامل مؤثر في سير الكشوف الجغرافية البرتغالية، فقد سهل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في عام(904هـ/1497م)بواسطة فاسكو دي جاما مهمة وصول منتجات الشرق الاقصى للأسواق الأوروبية دون الحاجة الى مرورها عن طريق مصر، ولهذا ساعد تحويل الخط التجاري عن مناطق العبور العربية والاسلامية –ساعد– على تحقيق الهدف الديني وذلك لما للمجال الاقتصادي من اثر فعال في إضعاف القوة الاسلامية التي كان لها ابلغ الأثر في زعزعة أوروبا خلال عدة قرون، فضلاً عن الركود الاقتصادي الذي مُنيت به الدولة المملوكية بسبب هذا التحول المفاجئ(3).

ومما يجدر ذكره أن البرتغاليين استعانوا في حملاتهم باليهود الذين استخدموا كجواسيس ، وقد ساعدهم في ذلك معرفتهم باللغة العربية، وعلى سبيل المثال فقد ارسل ملك البرتغال يوحنا الثاني خادمه الخاص ومعه رفيق آخر يهودي الى مصر والهند والحبشة وكان من نتائج رحلتها تقديمها تقرير يتضمن بعض الخرائط العربية عن المحيط الهندي(4).

---

(1) عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع سابق ، ج2 ، ص69

(2) يوسف الثقفي: **موقف أوروبا من الدولة العثمانية**، ط1 ، دار الثقة ، القاهرة 1997م، ص37.

(3) يوسف الثقفي : المرجع السابق ، ص ص60-61.

(4) عبد العزيز محمد الشناوي: **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** ، ط1 ، المكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة 1985م ، ج1 ، ص 123

وذكر ابن اياس إنه في زمن الشريف بركات أمير مكة تسلل ثلاثة أشخاص الى مكة وكانوا يحومون حول المسجد الحرام وعليهم لباس عثماني ويتحدثون العربية والتركية، فأمر بالقبض عليهم وبالكشف على اجسامهم اتضح أنهم مسيحيون لأنهم كانوا بغير ختان، وبعد التحقيق معهم ظهر أنهم جواسيس، ارسلوا للعمل كأدلاء للجيش البرتغالي الصليبي عند دخوله لمكة، وتم بعد ذلك إرسالهم الى السلطان قانصوه الغوري(1).

ولتحقيق الأهداف البرتغالية رأى رواد الكشوف وساستهم ضرورة التحكم في مضيقي "هرمز" و "باب المندب" لكي يحكم أعداء الاسلام غزوهم للعالم الاسلامي من الخلف ودق عصب الإقتصاد في المناطق العربية والاسلامية ثم بالتالي نشر المسيحية في كل موقع يصلون إليه(2).

ونجح البرتغاليون في خططهم وتمكنوا من السيطرة على معابر التجارة في الساحل الأفريقي والخليج العربي وبحر العرب، وقاموا بمنع وصول المنتجات الشرقية الى أوروبا عن طريقها، وقد ساعدهم في تحقيق ذلك عدم وجود منافس بحري لهم، مما سهل لهم السيطرة على المراكز الهامة بيسر وسهولة، ثم لم يتورع البرتغاليون بعد ذلك عن استخدام العنف فشهدت المناطق التي وصلوا إليها واحتلوها الكثير من المجازر وإشعال النيران والتدمير، والاعتداء على حرمات الناس ومنع المسلمين من الذهاب الى الحج وهدم المساجد عليهم(3).

إما عن موقف المسلمين من هذا الغزو ، فقد كان المماليك آنذاك في موقف لايحسدون عليه حيث اصابهم الضعف الاقتصادي والسياسي ، وانشغل السلاطين بمشاكلهم الداخلية ومجابهة الدولة العثمانية وقمع نشاط الفرسان الإسبارتية في شرق البحر الأبيض المتوسط ، ولهذا واجه السكان في الساحل الأفريقي والخليج واليمن مصيرهم بأنفسهم،

(1) محمد ابن احمد ابن اياس: **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، مطابع الشعب ، القاهرة 1960م، ج4، ص191.

(2) يوسف الثقفي : **دراسات متميزة...**، مرجع سابق ، ص38.

(3) عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم: **علاقة ساحل عمان ببريطانيا**، ط1 ،مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، الرياض 1982م ، ص19.

فهاجموا الحاميات البرتغالية في كل مكان، في شرق أفريقيا وفي مسقط والبحرين وقريات وعدن ، ولكن دون جدوى لاختلاف ميزان القوى(1).

ثم ان المماليك شعروا بالمسؤولية على الرغم من المشاكل التي كانت تعيشها دولتهم ، وبذلوا مافي استطاعتهم للحد من وصول البرتغاليين الى الأماكن المقدسة، فقام السلطان قانصوه الغوري بإرسال حملة بحرية مكونة من ثلاثة عشرة سفينة عليه ألف وخمسائة رجل بقيادة حسين الكردي(2) الذي وصل الى جزيرة "ديو" ثم "شول" وألتقى مع الأسطول البرتغالي بقيادة "الونز دي الميدا" وذلك في عام(914هـ/1508م)فكان النصر حليفه(3)، ثم ان البرتغال عززوا قواتهم وأعادوا الكرة مرة أخرى مما أدى الى هزيمة الاسطول الاسلامي سنة 915هـ/1509م في معركة "ديو" المشهورة في التاريخ(4).

أما عن الدولة العثمانية فكانت في البداية بعيدة عن ساحة المعركة ويفصل بينها وبين البرتغال دولة المماليك والدولة الصفوية ومع ذلك لبى السلطان بايزيد الثاني طلب السلطان الغوري مساعدته ضد البرتغال ، فأرسل في شهر شوال سنة(916هـ/1511م)عدة سفن محملة بالمكاحل والأسهم وأربعين قنطاراً من البارود وغير ذلك من المستلزمات العسكرية والأموال اللازمة(5). ولكن هذه المساعدة لم يكتب لها الوصول سالمة بسبب تعرضها لقرصنة فرسان القديس يوحنا(6).

---

(1) يوسف الثقفي : **دراسات متميزة...**، المرجع السابق ، ص38.

(2) **الأمير حسين الكردي** (1460-1515م) ، الذي سماه البرتغاليون Mirocem أو Mir-Hocem كون أسطولاً أيام السلطان قانصوه الغوري المملوكي لمحاربة البرتغاليين. فأنعم عليه السلطان بلقب "أمير" وأقطعه مدينة جدة لحمايتها أساطيل الحجاج المسلمين القادمين إلى مكة منالبرتغاليين برز كأميرال الأسطول المصري المملوكي الذي قاتل الامبراطورية البرتغالية في معارك بساحل ملبار بالهند، انتهت بهزيمته في معركة ديو في المحيط الهندي .محمد حميد السلمان ، **الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين 1507- 1525م**، مركز زايد للثقافة والنشر، ص95

(3) محمد ابن احمد ابن اياس: المصدر السابق ، ج4 ، ص 142

(4) نوال صيرفي: **النفوذ البرتغالي في الخليج العربي**، ط1، مطبوعات دارالملك عبد العزيز، الرياض 1983م، ص106.

(5) نوال صيرفي : المرجع نفسه ، ص115.

(6) شوقي الجمل: **تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها**، ط2 ، المكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة 1980م، ص172.

وبعد أن ضم العثمانيون بلاد مصر والشام ودخلت البلاد العربية تحت نطاق الحكم العثماني ، واجهت الدولة العثمانية البرتغاليين بشجاعة نادرة، فتمكنت من استرداد بعض الموانئ الاسلامية في البحر الأحمر مثل: مصوع وزيلع، كما تمكنت من إرسال قوة بحرية بقيادة مير علي بك الى الساحل الأفريقي فتم تحرير مقديشو وممبسة ومُنيت الجيوش البرتغالية بخسائر عظيمة(1).

وفي عهد السلطان سليمان القانوني(927-974هـ/1520-1566م)تمكنت الدولة العثمانية من إبعاد البرتغاليين عن البحر الأحمر ومهاجمتهم في المراكز التي استقروا بها في الخليج العربي.

لقد ادرك السلطان سليمان أن مسؤولية الدفاع عن الأماكن المقدسة هي مسؤولية الدولة العثمانية، فبادر بعقد اتفاق مع حاكمي "قاليقوط" و"كامباي" وهما الحاكمان الهنديان اللذان تأثرا من الغزو البرتغالي وكان ذلك الاتفاق ينص على العمل المشترك ضد البرتغال، ثم أعقب ذلك الإتفاق إصداره مرسوماً الى سليمان باشا الخادم والي مصر هذا نصه: (عليك يابيك البكوات بمصر سليمان باشا، أن تقوم فور تسلمك أوامرنا هذه ، بتجهيز حقيبتك وحاجتك، وإعداد العدة بالسويس للجهاد في سبيل الله، حتى إذا تهيأ لك إعداد أسطول وتزويده بالعتاد والميرة والذخيرة وجمع جيش كافٍ، فعليك أن تخرج الى الهند وتستولي وتحافظ على تلك الأجزاء، فإنك اذا قطعت الطريق وحاصرت السبل المؤدية الى مكة المكرمة تجنبت سوء ما فعل البرتغاليون وأزلت رايتهم من البحر)(2).

وقام سليمان الخادم بتنفيذ أوامر السلطان العثماني ، ووصل بعد سبعة أيام الى جدة ثم اتجه الى كمران وبعد ذلك سيطر على عدن وعيّن عليها أحد ضباطه وزودها بحامية بلغ عدد جنودها ستمائة جندي ، ثم واصل سيره الى الهند، وعند وصوله الى ديو لم يتمكن من الإستيلاء عليها وانسحب عائداً بعد ان فقد حوالي اربعمائة من رجاله، وحاول مرة اخرى الاستيلاء على الأمامية حتى استسلمت إحداها وتم أسر ثمانيين برتغالياً ، ولولا الإمدادات

(1) يوسف الثقفي : **دراسات متميزة...**، المرجع السابق ، ص39.

(2) المرجع نفسه ، ص40.

الجديدة للجيش البرتغالي لاستسلمت جميع القلاع، وتمّ طرد البرتغاليين من الهند ولخضعت قلعة ديو للعثمانيين خضوعاً تاماً(1).

وهكذا تمكن العثمانيون من صد البرتغال وإيقافهم بعيداً عن المماليك الاسلامية والحد من نشاطهم ، وهكذا نجحت الدولة العثمانية في تأمين البحر الأحمر وحماية الأماكن المقدسة من التوسع البرتغالي المبني على أهداف استعمارية وغايات دنيئة ومحاولات للتأثير على الاسلام والمسلمين بطرق مختلفة.

إن النجاح الذي حققته الدولة العثمانية في درء الخطر البرتغالي على العالم الاسلامي يستحق كل تقدير وثناء، فدولة المماليك المتهالكة كانت على وشك الانهيار، ولم تكن على مستوى من القوة يكفل لها الوقوف أمام الغزو البرتغالي فتحملت الدولة العثمانية أعباء الدفاع عن حقوق المسلمين وممتلكاتهم، ونجحت أيما نجاح في الحد من مطامع الغزاة ووصولهم الى الأماكن المقدسة كما كانوا يرغبون(2).

أما عن الدولة الصفوية فقد تخلت عن مساعدة سكان المناطق التي وصل إليها الغزو البرتغالي، فتركت مدن الخليج العربي تواجه مصيرها بنفسها، وزادت على ذلك أن سارت الدولة الصفوية في فلك الأعداء ولبت رغباتهم خاصة وأنها على عداء وخلاف مذهبي مع المماليك والدولة العثمانية ولذلك نجد البوكيرك القائد البرتغالي يستغل هذا الموقف ويرسل في عام 915هـ/1509م مبعوثه ومعه رسالة ذكر فيها: (اني أقدّر لك احترامك للمسيحيين في بلادك، واعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند، وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو أن تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو في القطيف أو في البصرة ، وسيجدني الشاة بجانبه على امتداد الساحل الفارسي ، وسأنفذ له كل مايريد"(3).

وقد صادف هذا العرض أو هذا الموقف الفترة التي كانت القوات العثمانية تتوجه فيها

---

(1) غسان علي الرمال : **صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر** ، ط1 ، دار العلم ، جدة 1985م، ص226.

(2) يوسف الثقفي : **دراسات متميزة...**، المرجع نفسه ، ص40.

(3) صلاح العقاد : **التيارات السياسية في الخليج العربي** ، ط1 ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة1974م، ص17.

لمجابهةالصفويين على الحدود،حيث كانت بعد ذلك معركةجالديران سنة(920هـ/1514م)التي انهزم فيها الفرس هزيمة ساحقة أمام الجيش العثماني، مما جعلهم – أي الفرس– أكثر استعداداً للتحالف مع البرتغاليين ضد العثمانيين، فكانت فرصة البرتغال التي لاتعوض لاسيما وأنهم يدركون مدى الخطر الذي يُهددهم ويقلق أمنهم من قبل الدولة العثمانية ، فاستغلوا احتلالهم لهرمز عام(921هـ/1515م)وارتبطوا بعد ذلك مباشرة مع الصفويين بمعاهدة كان من أهم بنودها؛ تقديم البرتغال أسطولها لمساعدة الشاة في حملته على البحرين والقطيف مقابل اعتراف الشاة بالحماية البرتغالية على هرمز، وتوحيد القوتين وفي حالة المواجهة مع الدولة العثمانية عدوهما المشترك(1).

ويظهر أن البرتغال رأوا في تحالفهم مع الصفويين وسيلة تحقق عدم الوفاق بين الدول الاسلامية التي فيما لو اتحدت ضدها لما تمكنت من السيطرة على مقدرات الشعوب في مناطق الخليج والبحر الأحمر وعدن وغير ذلك من الاماكن التي خضعت للسيطرة البرتغالية؛ ومن جهة اخرى فإن التحالف الصفوي البرتغالي والوضع السياسي والاقتصادي المتدهور لدى دولة المماليك، كل ذلك جعل الدولة العثمانية تتحمل المسؤولية كاملة في الدفاع عن الأماكن الاسلامية في كل موقع حاول البرتغاليون الوصول إليه والسيطرة عليه(2). ولقد كان من نتائج الصراع العثماني البرتغالي:

1- احتفظ العثمانيون بالاماكن المقدسة وطريق الحج.

2- حماية الحدود البرية من هجمات البرتغاليين طيلة القرن السادس عشر.

3- استمرار الطرق التجارية التي تربط الهند واندونيسيا بالشرق الادنى عبر الخليج العربي والبحر الأحمر.

4- استمرار عمليات تبادل البضائع الهندية مع تجار أوروبا في أسواق حلب، والقاهرة واسطنبول ففي سنة(961هـ/ 1554م)اشترى البندقيون وحدهم ستة آلاف قنطار من التوابل

(1) صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص98.

(2) يوسف الثقفي : **دراسات متميزة...**، المرجع نفسه ، ص41.

وفي الوقت نفسه كانت تصل الى ميناء جدة عشرين سفينة محملة بالبضائع الهندية [1].

المبحث الثالث : السلطان سليمان القانوني و موقفه من مسلمي الأندلس

ولد سليمان القانوني[2] في مدينة (طرابزون)[3]،كان والده آنذاك والياً عليها اهتم به والده اهتماماً عظيماً، فنشأ محباً للعلم والأدب والعلماء والأدباء والفقهاء، واشتهر منذ شبابه بالجدية والوقار، أرتقى عرش السلطنة في السادسة والعشرين من عمره وكان متأنياً في جميع شؤونه ولا يتعجل في الأعمال التي يريد تنفيذها بل كان يفكر بعمق ثم يقرر واذا اتخذ قراراً لايرجع عنه[4].

1- إستغاثة أهل الأندلس بسليمان القانوني :

ان النجاح السريع الذي عرفته الامبراطورية العثمانية في كل من اوربا وافريقيا ومدى الانتصارات الحربية التي حققها السلطان سليمان القانوني على الجيوش الاوربية الحليفة انذاك ، وسقوط عدد من العواصم الاوربية ، قد أعطى ابعادا اخرى لهذا الصراع ، الذي واجهته الامبراطوريتان العثمانية والاسبانية والذي اتخذ شكل محاربة دين كلا منهما للاخر على ان الانتصارات التي حققها العثمانيون والاهمية التي اصبحت عليها اسطنبول بعد الفتح ،قد شجع عددا من المهاجرين المسلمين واليهود على الاستقرار في العاصمة العثمانية [5].

كان الموريسكيون يتتبعون باهتمام مدى النجاح الذي حققه العثمانيون وكيف دانت

---

(1) نبيل بيفون : المرجع السابق ، ص ص45-46.

(1) **سليمان القانوني** :(1494-1566م) سليمان الأول بن سليم الأول، كان عاشر السلاطين العثمانيين وخليفة المسلمين الثمانين، وثاني من حمل لقب "أمير المؤمنين" من آل عثمان. بلغت الدولة الإسلامية في عهده أقصى اتساع لها حتى أصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت، انظر : يلماز ازوتونا ، **موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري** ،ص187.

(2) **طرابزون** : Trabzon مدينة تركية تقع في شمال شرق تركيا على ساحل البحر الأسود، تشكل مركز محافظة طرابزون، وتقع على طريق الحرير التاريخي، معظم سكانها من الأتراك واليونانيون .عمر المدينة تجار ماطا في القرن 8 ق.م. ، وظلت هذه البلدة يونانية حتى احتلها الرومان سنة 65 ق.م انظر: يلماز ازوتونا ، المرجع السابق ،ص187.

(4) محمد فريد بك : المرجع السابق، ص123.

(4)عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص 29.

لهم كل من سوريا ومصر ، و الجزائر التي أصبحت حصنا منيعا يلتجأ اليه المهاجرون الاندلسيون ، خاصة بعد هزيمة شارلكان في حملته على الجزائر (948هـ/1541م)،التي كان وقعها شديدا على القادة ورجال الدين الاسبان من جهة ومن جهة أخرى كان مؤثرا وبالغا على الموريسكيين، حيث جعلتهم يتطلعون الى النجدة من السلطان العثماني (1)

1-1-رسالة مسلمي الاندلس للسلطان سليمان القانوني (948هـ/1541م)

بعد هزيمة شار لكان في حملته على الجزائر ، بعث مسلمو الاندلس برسالة الى السلطان سليمان القانوني ، وعلى الرغم من تعدد رسائل الموريكسيين الى السلاطين العثمانيين حسب مختلف الروايات التركية والعربية والاوربية ، الا انه ولأول مرة يعثر على نص من هذا القبيل (2)

2- التحديات التي واجهت سليمان القانوني

2-1- الفتن التي واجهته في بداية حكمه :

ابتلى سليمان في السنوات الأولى في عهده بأربع تمردات شغلته عن حركة الجهاد، حيث ظن الولاة الطموحون أن فرصة الاستقلال بأقاليمهم حان وقتها، فقام جان بردى الغزالي والى الشام بتمرد على الدولة وأعلن العصيان عليها وحاول أن يستولي على حلب إلا أنه فشل في ذلك وأمر السلطان سليمان بقمع الفتنة فقمعت وقطع رأس المتمرد جان بردى(3) وأرسل الى استنبول دلالة على انتهاء التمرد.

وأما التمرد الثاني فقد قام به أحمد شاه(4) الخائن في مصر وكان هذا عام (930هـ/1524م)وكان هذا الباشا طامعاً في منصب الصدر الأعظم ولم يفلح في تحقيق

(1) عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ،ص32

(2) المرجع نفسه ،ص 33

(3) **جان بردى** :تعني كلمة "جان بردي" في اللغة الكوردية هبة الروح (جان) بمعنى الروح، و(بردي) بمعنى أعطى أو يعطي أو عطية أو هبة.أنظر: سامي المغلوث ، **أطلس تاريخ الدولة العثمانية**، ص339.

(4) **أحمد شاه :** ولاه الصدر الأعظم إبراهيم باشا الفرنجي ولاية مصر **سنة**1524 **م** بعد عزل قاسم باشا الذي بقي والياً على مصر لمدة عام واحد فقط.أنظر : أسامة محمد أبو نحل ، **حركات التمرد في مصر في بداية العهد العثماني (1517-1524 م) والنتائج المترتبة عليها** ، ص 14.

هدفه، وطلب من السلطان أن يعينه والياً على مصر فعينه. وما أن وصل الى مصر حتى حاول استمالة الناس وأعلن نفسه سلطاناً مستقلاً إلا أن أهل الشرع وجنود الدولة العثمانية من الإنكشارية قاموا ضد الوالي المتمرد وقتلوه وظل اسمه في كتب التاريخ مقروناً باسم الخائن.

والتمرد الثالث ضد خليفة المسلمين هو تمرد شيعي رافضي قام به بابا ذو النون عام (932هـ/1526م) في منطقة يوزغاد حيث جمع هذا البابا مابين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف ثائر وفرض الخراج على المنطقة، وقويت حركته حتى أنه استطاع هزيمة بعض القواد العثمانيين الذين توجهوا لقمع حركته، وانتهت فتنة الشيعة هذه بهزيمة بابا ذو النون وأرسل رأسه الى استانبول.

والتمرد الرابع ضد الدولة العثمانية في عهد سليمان القانوني كان تمرداً شيعياً رافضياً أيضاً وكان على رأسه قلندر جلبي في منطقتي قونية ومرعش وكان عدد أتباعه 30.000 شعياً قاموا بقتل المسلمين السنيين في هاتين المنطقتين. ويقول بعض المؤرخين أن قلندر جلبي جعل شعاره أن من قتل مسلماً سنياً ويعتدي على امرأة سنية يكون بهذا قد حاز أكبر الثواب.

توجه بهرام باشا لقمع هذا العصيان فقتله العصاة، ثم نجحت الحيلة معهم إذ أن الصدر الأعظم إبراهيم باشا قد استمال بعض رجال قلندر جلبي ، فقلت قواته وهزم وقتل.وبعد هذا هدأت الأمور في الدولة العثمانية وبدأ السلطان في التخطيط لسياسة الجهاد في أوروبا(1).

2-2- فتح رودس:

كانت رودس جزيرة مشاكسة إذ كانت حصن حصين لفرسان القديس يوحنا،الذين كانوا يقطعون طريق الحجاج المسلمين الأتراك الى الحجاز، فضلاً عن اعمالهم العدوانية الموجهة لخطوط المواصلات البحرية العثمانية(2)، فأهتم السلطان سليمان بفتحها وأعد حملة عظيمة

(1) محمد حرب : المرجع السابق ، ص91.

(2) عبدالله الكندري :**منح رب البرية في فتح رودس الأبية** ، حوليات كلية الاداب ، الحولية الثامن عشر ، قسم التاريخ ،جامعة الكويت 1997م،ص17.

ساعده على تحقيقها عدة أمور:

1- انشغال اوروبا بالحرب الكبرى بين شارل الخامس (كنت) - إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة وفرانسوا ملك فرنسا.

2- عقد الصلح بين الدولة العثمانية والبندقية.

3- نمو البحرية العثمانية على عهد سليم الأول.

وشن سليمان القانوني حرباً كبيرة ضد رودس ابتداء من منتصف عام(928هـ/ 1522م)، وفتحها وأعطى للفرسان حق الانتقال منها، فذهبوا الى (مالطة) وهناك أعطاهم (شارك كنت) حق حكم هذه الجزيرة[1].

2-3- قتال المجر وحصار فيينا :

كان ملك المجر (فيلاد يسلاف الثاني جاجليو) [2] قد عزم على فك أي تعهدات كانت قد أعطيت من قبل أسلافه لسلاطين الدولة العثمانية، وذهب الى حد قتل مبعوث السلطان سليمان إليه.[3]

وكان المبعوث يطالب بالجزية السنوية المفروضة على المجر. ولهذا رد سليمان في عام (927هـ/1521م) بغزوة كبيرة ضد المجر، ولكن استمرت المعارك حتى أحرز الاتراك إنتصارهم الكبير، في موقعة موهاكس[4] عام (932هـ/1526م)، ودخل سليمان القانوني

---

(1)عبدالعزيز نوار: **الشعوب الاسلامية (الاتراك العثمانيون ، الفرس ، مسلمو الهند)** ،ط1 ، دار النهضة العربية ، بيروت 1991م، ص50.

(2) **فيلاد يسلاف الثاني جاجليو:** (1506-1526م) ملك مملكة المجر وسلوفينيا وكرواتيا وبوهيميا دام حكمه عشر سنين من1516 م وحتى مقتله على يد الجيوش العثمانية في معركة موهاكس ,تولى الملك خلفا لأبيه الملك فلادسلاس الثاني الذي وطد كل هذه الممالك تحت إمرة ملك واحد وبعد مقتله آل أمر الممالك إلى حاكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة فرديناند الأول.أنظر فكاير، مرجع سابق ، ص65.

(3) يلماز ازوتونا : ، المرجع السابق ، ص150.

(4) موهاكس : هي معركة وقعت بين الدولة العثمانية ومملكة المجر في **29** أغسطس**1526** م .(كان يقود قوات العثمانيين السلطان سليمان القانوني أما المجريون فكان يقودهم ملكهم لايوش الثاني (لويس الثاني .(قدر عدد جنود الجيش

(بودا) في 11 سبتمبر (أيلول) من نفس السنة، واستمرت المقاومة الهنغارية رغم هذا، وتابع السلطان ضغطه حتى بلغت جيوشه أسوار فينا عاصمة الامبراطورية الرومانية المقدسة عام(935هـ/ 1529م)، إلا أن طول خطوط المواصلات وتحول (شارل كنت) من قتال فرانسوا الى التصالح معه للتفرغ لحرب العثمانيين ولانقاذ عاصمة الهايسبورج جعل من المستحيل على سليمان القانوني فتح هذه العاصمة، وتراجع عنها بينما استمر الصراع بين سليمان والقوى الأوروبية المؤيدة لملك المجر من أجل السيطرة على هذه المملكة حتى وفاة سليمان.

على أن أبرز حدث تاريخي في السياسة الخارجية العثمانية على عهد سليمان القانوني هو علاقته مع فرانسوا، تلك العلاقة التي تحولت الى محالفة[1].

العثماني بحوالي 100 ألف جندي وعدد من المدافع و800 سفينة، بينما قدرت أعداد الجيش المجري بنحو 200 ألف مقاتل: Stephen Turnbull : **The Ottoman Empire**, 1326–1699, page:46

(1) عبدالعزيز نوار : المرجع السابق، ص147.

الفصل الثالث

الجهاد البحري في الحوض الغربي للمتوسط

المبحث الأول : أثر حروب الإسترداد على الشمال الإفريقي

1- دور الأخوين بربروسا في الجهاد ضد الغزو الصليبي

2- قيام نظام بيلر باي في الجزائر

المبحث الثاني: جهود أتراك الجزائر لإنقاذ مسلمي الأندلس

1- خير الدين بربروسا

2- حسن خير الدين بربروسا

3- صالح رايس

4- قلج علي

المبحث الثالث : المعيقات التي حالت دون استرداد الأندلس

1- الصراع العثماني الاسباني في حوض المتوسط

2- الخلاف العثماني السعدي

كان من آثار التهجير الجماعي للمسلمين من الأندلس ، ونزوح أعداداً كبيرة منهم الى الشمال الأفريقي ، حدوث العديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية في ولايات الشمال الأفريقي، ولما كان من بين المسلمين النازحين الى هذه المناطق أعداداً وفيرة من البحارة(1)، فكان من الضروري أن تبحث عن الوسائل الملائمة لاستقرارها، إلا أن بعض العوامل قد توافرت لتدفع بأعداد من هؤلاء البحارة الى طريق الجهاد ضد القوى المسيحية في البحر المتوسط. ويأتي في مقدمة هذه الأسباب الدافع الديني بسبب الصراع بين الاسلام والنصرانية، وإخراج المسلمين من الأندلس، ومتابعة الاسبان والبرتغال للمسلمين في الشمال الأفريقي(2).

وقد ظلت حركات الجهاد الاسلامي ضد الاسبان والبرتغاليين غير منظمة حتى ظهور الأخَوان خير الدين وعروج بربروسا(3)، واستطاعا تجميع القوات الاسلامية في الجزائر وتوجيها نحو الهدف المشترك ، لصد اعداء الاسلام عن التوسع في موانئ ومدن الشمال الافريقي.

وقد اعتمدت هذه القوة الاسلامية الجديدة في جهادها أسلوب الكر والفر في البحر، بسبب عدم قدرتها في الدخول في حرب نظامية ضد القوى المسيحية، من الأسبان والبرتغاليين وفرسان القديس يوحنا ، وقد حقق هؤلاء المجاهدين نجاحاً أثار قلق القوى المعادية، ثم رآو بنظرهم الثاقب أن يدخلوا تحت سيادة الدولة العثمانية، لتوحيد جهود المسلمين ضد النصارى الحاقدين.

وقد حاول المؤرخون الأوروبيون التشكيك في طبيعة الحركة الجهادية في البحر المتوسط ،

---

(1) عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص7.

(2) عبد القادر فكاير : المرجع السابق ، ص 22.

(3) **الأخوين 'عروج وخير الدين':** يرجع أصل الأخوين المجاهدين 'عروج وخير الدين' إلى الأتراك المسلمين،والدهما 'يعقوب بن يوسف' من بقايا المسلمين الأتراك الذين استقروا فيجزيرة 'مدللي' إحدى جزر الأرخبيل وأمهما سيدة مسلمة أندلسية كان لها الأثرعلى الأخوين في توجيههما للجهاد في سبيل الله ضد الصليبيين الأسبان والبرتغاليين، أنظر : **مذكرات خير الدين** ، تر محمد الدراج ،ص ص20-21.

ووصفوا دورها بالقرصنة ، وكذلك شككوا في أصل أهم قادتها وهما خير الدين وأخوه عروج ، الأمر الذي يفرض ضرورة إلقاء الضوء على دور الأخوين وأصلهما، وأثر هذه الحركة على الدور الصليبي في البحر المتوسط ، في زمن السلطان سليم والسلطان سليمان القانوني.(1)

المبحث الأول : أثر حروب الاسترداد على الشمال الإفريقي

1- دور الأخوين بربروسا في الجهاد ضد الغزو الصليبي :

اتجه الأخوان عروج وخير الدين الى الجهاد البحري منذ الصغر، ووجها نشاطهما في البداية الى بحر الأرخبيل المحيط بمسقط رأسهما حوالي سنة(916هـ/ 1510م)،(2) لكن ضراوة الصراع بين القوى المسيحية في بلاد الأندلس وفي شمالي افريقيا بين المسلمين هناك، والذي اشتد ضراوة في مطلع القرن السادس عشر، قد استقطب الأخوين لينقلا نشاطهما الى هذه المناطق وبخاصة بعد أن تمكن الاسبان والبرتغاليون من الاستيلاء على العديد من المراكز والموانئ البحرية في شمالي افريقيا(3).

وقد حقق الأخوان العديد من الانتصارات على القراصنة المسيحين الأمر الذي أثار أعجاب القوى الاسلامية الضعيفة في هذه المناطق ، ويبدو ذلك من خلال منح السلطان "الحفصي"(4) لهم حق الاستقرار في جزيرة جربة التونسية وهو أمر عرضه لهجوم اسباني متواصل اضطره لقبول الحماية الاسبانية بالضغط والقوة، كما يبدو من خلال استنجاد أهالي هذه البلاد بهما، وتأثيرهم داخل بلادهم مما أسهم في وجود قاعدة شعبية لهما تمكنهما من حكم الجزائر وبعض المناطق المجاورة ويرى بعض المؤرخين أن دخول "عروج" وأخيه

(1) صالح كليل : المرجع السابق ، ص 45.

(2) **مذكرات خير الدين** ، تر ، محمد دراج ، ط1 ، شركة الاصالة للنشر ، الجزائر 2010، ص71.

(3) علي حسون: المرجع السابق ، ص53.

(4) نسبة إلى عمر بن أبي حفص زعيم قبيلة هنتانة المصمودية، وباستقلال الأمير أبي زكرياء الأمر بتونس، خلع عبد المؤمن من قسنطينة سنة 1228 ، وحاصرها وولى عليها أحد أتباعه، ثم تحرك إلى بجاية ُ، أ نظر عبد الرحمن بن خلدون :**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر(1336-1406م)** ،7 ج، ط3 ، دار الكتب العلمية ،بيروت 2006،ج6 ،ص336.

الجزائر وحكمهما لها لم يكن بناءً على رغبة السكان، ويستند هؤلاء الى وجود بعض القوى التي ظلت تترقب الفرص لطرد الأخوين والأتراك المؤيدين لهما، لكن البعض الآخر يرون أن وصول "عروج" وأخيه كان بناءً على استدعاء من سكانها لنجدتهم من الهجوم الأسباني الشرس، وأن القوى البسيطة التي قاومت وجودهما كانت تتمثل في بعض الحكام الذين أبعدوا عن الحكم أمام محاولات الأخوين الجادة في توحيد البلاد حيث كانت قبل وصولهما أشبه بدولة ملوك الطوائف في الأندلس، وقد ساند أغلب أهل البلاد محاولات الأخوين واشتركت أعداداً كبيرة منهم في هذه الحملات، كما ساندهما العديد من الحكام المحليين الذين شعروا بخطورة الغزو الصليبي الأسباني(1).

ويظهر دور الأخوين المجاهدين بمحاولة تحرير بجاية من الحكم الاسباني سنة(918هـ/ 1512م)، وقد نقلا –لهذا الغرض– قاعدة عملياتها ضد القوات الأسبانية في ميناء جيجل شرقي الجزائر بعد أن تمكنا من دخولها وقتل حماتها الجنويون(2) سنة(920هـ/ 1514م) لكي تكون محطة تقوية لتحرير بجاية من جهة ولمحاولة مساعدة مسلمي الأندلس من جهة أخرى ،ويبدو أن الأخوين قد واجها تحالفاً قوياً نتج عنه العديد من المعارك النظامية وهو أمر لم يتعودوه لكن أجبروا عليه بفعل الاستقرار في حكم الجزائر، وزاد من حرج الموقف قتل "عروج" في إحدى المعارك سنة (924هـ/ 1518م) مما اضطر خير الدين للبحث عن تحالف يعينه على الاستقرار والمقامة ومواصلة الجهاد وكانت الدولة العثمانية هي أقوى القوى المرشحة لهذا التحالف سواء لدورها البارز في ساحة البحر المتوسط أم لأن القوى المحلية في الشمال الأفريقي كانت متعاطفة معها(3).

وتتابع انتصاراتها على الساحة الأوروبية منذ فتح القسطنطينية وأن الاتجاه لمحالفتها

---

(1) صلاح عقاد: **المغرب في بداية العصور الحديثة**، ط3 ،المكتبة الانجلومصرية،القاهرة 1969م ، ص ص 37–38.

(2) **الجنويون** نسبة الى جنوة مدينة إيطالية شهدت حركة إحياء للتجارة، ولا سيما في حوض البحر المتوسط، فنمت نمواً تجارياً وبحرياً خاصاً، ، وحصلت على بعض الامتيازات. قدم أسطول الجنويين مساعدات هامة للحملات الصليبية المختلفة . أنظر محمد عمر الباروني : **الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، ص51.

(3) مذكرات خير الدين : المصدر السابق ، 73.

سيكسب دور خير الدين مزيداً من التأييد من قبل هذه القوى، والى جانب ذلك فإن الدولة العثمانية قد أبدت استجابة للمساعدة حين طلب منها الأخوان ذلك، كما أبدت رغبتها في مزيد من المساعدة لدوره وكذلك لبقايا المسلمين في الأندلس، ومن منظور ديني أسهم في إكساب دورها تأييداً جماهيرياً وجعل محاولة التقرب منهما أو التحالف معهما عملاً مرغوباً(1).

ومن جهة أخرى كانت الظروف في الدولة العثمانية على عهد السلطان سليم الأول مهيأة لقبول هذا التحالف وبخاصة بعد أن اتجهت القوات العثمانية الى الشرق العربي، وكان من أبرز أهدافها في هذا الاتجاه –كما سبق التوضيح– هو التصدى لدور البرتغاليين والأسبان وفرسان القديس(2) يوحنا في المنطقة ، وكان من المنطقي التحالف مع أي من القوى المحلية التي تعينها على تحقيق هذه الأهداف(3).

2– قيام نظام بيلر باي في الجزائر :

اختلف علماء التاريخ حول بداية التحالف بين العثمانيين والأخوين عروج خيرالدين ، فتذكر بعض المراجع أن السلطان سليم الأول كان وراء إرسالهم الى الساحل الأفريقي تلبية لطلب المساعدة من سكان الشمال الأفريقي وعملاً على تعطيل أهداف البرتغاليين والأسبان في منطقة البحر المتوسط. وعلى الرغم من عدم تداول هذه الرواية بين المؤرخين إلا أنها توضح أن العثمانيين لم يكونوا بمعزل عن الأحداث التي تدور على ساحة البحر المتوسط(4).

ويرجع بعض المؤرخين التحالف بين الجانبين الى سنة(920هـ/ 1514م) في أعقاب

---

(1) عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع السابق ، ج2 ، ص302.

(2) **فرسان القديس** : فُرسان القدِّيس يوحنا جماعة دينية تابعة للكنيسة الرومانية الكاثوليكية. يُطلق عليهم أيضًا اسم الاسبتاريين وفرسان مالطة، وقد أسس هذه الجماعة رجل يُدعى جيرارد في أواخر القرن الحادي عشر في أحد الأديرة بالقدس.أنظر محمد عمر الباروني : **الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، ص54.

(3) زكرياء سليمان بيومي: المرجع السابق، ص83.

(4) المرجع نفسه ، ص83.

فتح عروج وخير لميناء "جيجل" حيث ارسل الأخوان الى السلطان سليم الأول مجموعة من النفائس التي استوليا عليها بعد فتح المدينة، فقبلها السلطان ورد لهما الهدية بإرسال أربع عشر سفينة حربية مجهزة بالعتاد والجنود(1) وكان هذا الرد من السلطان العثماني يعكس رغبته في استمرار نشاط دور الأخوين ودعمه. على أن بعض المؤرخين يذكرون أن الدعم العثماني لهذه الحركة كان في أعقاب وفاة "عروج" سنة (924هـ/ 1518م) وبعد عودة السلطان العثماني من مصر الى استانبول سنة(925هـ/ 1519م)(2).

على أن الرأي الأكثر ترجيحاً أن الاتصالات بين العثمانيين وهذه الحركة كان سابقاً لوفاة عروج وقبل فتح العثمانيين للشام ومصر، وذلك يرجع الأن الأخوين كانا في أمس الحاجة لدعم أو تحالف مع العثمانيين بعد فشلهما في فتح "بجاية" ، كما أنهما حوصروا في "جيجيل" بين الحفصيين الذين أصبحوا من أتباع الاسبان وبين "سالم التومي"(3) حاكم الجزائر الذي ارتكز حكمه على دعم الأسبان له هو الآخر، فضلاً عن قوة الاسبان وفرسان القديس يوحنا التي تحاصرهم في البحر؛ فكان لوصول الدعم العثماني أثره على دعم دورهما وشروعهما في دخول الجزائر برغم هذه العوامل حيث اتفق العثمانيون مع الأخوين على ضرورة الإسراع بدخولهما قبل القوات الاسبانية لموقعها الممتاز من ناحية ولكي يسبقوا الاسبان إليها، لاتخاذها قاعدة لتخريب الموانئ الاسلامية الواقعة تحت الاحتلال الاسباني كبجابة وغيرها من ناحية أخرى.

وقد تمكن عروج من دخول الجزائر بفضل هذا الدعم وقتل حاكمها بعد أن تأكد من مساعيه للاستعانة بالقوات الاسبانية، كما تمكن من دخول ميناء شرشال، واجتمع له الأمر في الجزائر وبويع في نفس السنة التي هزمت فيها القوات المملوكية أمام القوات العثمانية في

(1) زكرياء سليمان بيومي: المرجع السابق ، ص84.

(2) عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع السابق ، ج2 ، ص302.

(3) **سالم التومي** : حاكم الجزائر الذي ارتكز حكمه على دعم الأسبان له قتله عروج وعلقه في باب عزون عدة أيام، وفر ابنه إلى مدينة وهران، أنظر عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو: **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، الطبعة2008م، ص65 .

الشام سنة(922هـ/ 1516م) [1] في موقعة مرج دابق[2].

ولم يكن من الممكن للأخوين أن يقوما بهذه الفتوحات لولا تشجيع السلطان العثماني ودعمه الى جانب دعم شعوب المنطقة وقد سبق أن فشلا من دخول بجاية أمام نفس القوات المعادية[3].

بعد أن بويع "خير الدين" في الجزائر في أعقاب ماحققه من انتصارات على الأسبان والزعماء المحليين المتحالفيين معهم أصبح محط آمال كثير من الولايات والموانئ التي كانت مازالت خاضعة سواء للأسبان أو لعملائهم ، وكان أول الذين طلبوا نصرته أهل تلمسان. ومع أن استنجاد الأهالي كان من الممكن أن يكون كافياً لتدخل "خير الدين" إلا أن موقع تلمسان الاستراتيجي الذي كان يجعل وجود "خير الدين" في الجزائر غير مستتب قد جعله يفكر في التدخل قبل أن يطلب الأهالي نجدته، وأن مطالبهم قد دعته للتعجيل بذلك[4].

وأعد "خير الدين" جيشاً كبيراً زحف به الى تلمسان سنة(923هـ/ 1517م)، وأمن الطريق إليها[5]. وبعد أن نجح في السيطرة عليها تمكن الاسبان ، وعملاؤهم من بني حمود[6]، من استعادتها ولقي أحد إخوة "خير الدين" حتفه وهو "اسحاق" ، كما قتل "عروج" وكثيرون من رجاله أثناء حصارهم للمدينة ذلك الحصار الذي أمتد لستة أشهر أو يزيد أمتد

---

(1) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص174،175.

(2) **مرج دابق** :هو اسم معركة قامت في 8 أغسطس1516 م بين العثمانيين والمماليك قرب حلب في سوريا، قاد العثمانيين السلطان سليم الأول وقاد المماليك قانصوه الغوري .تمزق جيش المماليك بسبب الخيانة. انظر: شفيق مهدى، **مماليك مصر و الشام**، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2008 ،ص54.

(3) زكرياء سليمان بيومي: المرجع السابق ، ص58.

(4) المرجع نفسه ، ص86.

(5) مجهول : **غزوات عروج وخير الدين** ، تع ، نورالدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الادبية ، الجزائر 1930م، ص 125.

(6) **بنو حمود** هي أسرة من الأدارسة نازعت الأمويين على خلافة المسلمين في الأندلس في فترة فتنة الأندلس، وبعد أن أقصيت عن الخلافة نهائيًا عام 1011م هـ، أسس يحيى المعتلي بالله طائفة مالقة إحدى ممالك الطوائف التي تكونت في تلك الفترة. وفي عام 427 هـ، استقل محمد بن القاسم المهدي بالله طائفة الجزيرة الخضراء التي انفصل بها عن طائفة مالقة. أنظر الناصري :مصدر سابق ،ص152.

حتى سنة(924هـ/ 1518م).

وقد تركت هذه الأحداث أثراً بالغاً في نفس خير الدين مما دفعه الى التفكير في ترك الجزائر لولا أن أهلها ألحو عليه بالبقاء. وكانت موافقته على البقاء تفرض عليه ضرورة بذلك المزيد من الجهد خشية أن يهاجمه الاسبان ومؤيديهم، كما أن ذلك قد أدى الى أتجاهه الى مزيد من الارتباط بالدولة العثمانية، وبخاصة بعد أن والت لها مصر والشام، فكان ذلك يؤكد احتياج الجانبين الى مزيد من الارتباط بالآخر(1).

(1) بسام العسلي : **خير الدين بربروس** ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت 1980م، ص86.

المبحث الثاني: جهود أتراك الجزائر لإنقاذ مسلمي الأندلس

- **1- خير الدين بربروسا :**

1-1 التحديات التي أمام خير الدين :

كان أمام خير الدين بربروس في وضعه السياسي والعسكري الجديد أن يحارب على جبهتين:

- الجبهة الاسبانية لطرد الاسبانيين من الجيوب التي أقاموها فضم إليه عنابة والقالة في شرقي الجزائر وحقق انتصاراً باهراً على الإسبانيين حين استولى عام(936هـ/ 1529م) على حض بينون الاسباني على الجزيرة المواجهة لبلدة الجزائر وقد كان قد استمر يقصف الحصن بقذائف مدافعه طوال عشرين يوماً حتى تداعت جوانبه، ثم اقتحم الحصن مع قوات كثيفة العدد كانت تحملها خمس وأربعون سفينة جاءت من الساحل وأسر قائد الحصن مع كبار ضباطه.

إن استيلاء خير الدين على البينون[1] سنة (936هـ/ 1529م) يعد بداية تأسيس ما عرف باسم نيابة الجزائر ومنذ ذلك التاريخ أصبح ميناء الجزائر عاصمة كبرى للمغرب الأوسط بل ولكل شمال افريقية العثمانية فيما بعد. وبدأ استخدام مصطلح الجزائر للدلالة على إقليم الجزائر حتى نهاية القرن الثامن عشر.[2]

- الجبهة الداخلية وكانت تتمثل في محاولة توحيد المغرب الأوسط التي لم تخلوا من مؤامرات بني زيان والحفصيين ومن بعض القبائل الصغيرة ولكنه استطاع مد منطقة نفوذه باسم الدولة العثمانية ودخلت الامارات الصغيرة تحت السيادة العثمانية لكي تحتمي بهذه القوة من الأطماع الصليبية الاسبانية ومن قهرها على اعتناق النصرانية ومالبث أن مد خير الدين

---

(1) **حصن البنيون (Penon)** ؛ أي صخرة السّطُفْلة الكبيرة، لقد كان البنيون الذي أنشأه بدرو نافار على الجزر العظيمة المسماة سخفة ، كان ذلك الحصن مجهزاً بالسلاح والجيوش ، كان شوكة في حلق الجزائريين ، كان الجند فيه يفتشون كل صادرات وواردات البلاد ، وقطع صلة الجزائريين بالبحرية أنظر: **مذكرات خير الدين** ، ص 35.

(2) صالح عباد : **الجزائر خلال الحكم التركي (1514م-1830م)**، ط2 ،دار هوما ،الجزائر 2007م، ص84.

النفوذ العثماني الى بعض المدن الداخلية الهامة مثل القسطنطينية(1).

لقد نجح خيرالدين في وضع دعامات قوية لدولة فتية في الجزائر وكانت المساعدات العثمانية تصله بإستمرار من السلطان سليمان القانوني واستطاع خير الدين أن يوجه ضرباته القوية للسواحل الاسبانية وكانت جهوده مثمرة في انقاذ آلاف المسلمين من اسبانيا فقد قام عام (936هـ/1529م) بتوجيه ست وثلاثون سفينة خلال سبع رحلات الى السواحل الاسبانية للدولة العثمانية في الحوض الغربي للبحر المتوسط وبفضل الله ثم مساعدات الدولة العثمانية وموارد خزينة الجزائر المتنوعة من ضرائب وسبي ومغانم وزكاة والعشر والجزية والفيء والخراج ومايقوم به الحكام ورؤساء القبائل والعشائر من دفع العوائد وغيرها أصبحت دولة الجزائر لها قاعدة اقتصادية قوية(2).

لقد تضررت اسبانيا من نجاح خير الدين في الشمال الإفريقي وكانت إسبانيا يتزعمها شارل الخامس(3) إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة والتي كانت تضم وقتذاك إسبانيا وبلجيكا وهولندا وألمانيا والنمسا وإيطاليا وكانت الدولة الرومانية المقدسة تدافع عن أوربا المسيحية الخطر العثماني نحو شرق ووسط أوربا، لذا يمكن القول بأن الصراع بين شارل الخامس وبين ببليربكية الجزائر كان بمثابة فتح جبهة حربية جديدة ضد الدولة العثمانية في الشمال الإفريقي، لذلك لم يكتف شارل بالهجوم المفاجئ على سواحل الجزائر، بل أرسل مبعوثاً للتجسس في شمال افريقيا سنة (940هـ / 1533م) الذي طاف بأنحاء تونس وهناك وجد استعداد الحفصيين للتعاون مع شارل الخامس، وحذر من امتداد النفوذ العثماني على

(1) عزيز سامح : المرجع السابق ، ص201.

(2) نبيل رضوان عبد الحي : المرجع السابق ، ص311.

(3) **شارل الخامس** : ملك إسبانيا (1516 . 1556م). يُعتبر أحد أعظم الملوك في تاريخ إسبانيا كله. هزم القوات الفرنسية وأسر الملك فرانسوا الأول في معركة بافيا) Pavia (1525م).أعلن الحرب على البروتستانتية ثم عقد معها صلح أوغسبورغ Augsburg (1555م).في عهده اتسعت رقعة الإمبراطورية في أوروبا وفتحت إسبانيا أجزاء واسعة من المكسيك وبيرو. تخلّى عن العرش (عام 1556) واعتزل في احد الأديرة الإسبانية.ينظر: **Dictionnaire, Encyclopédie des Noms propres de la langue Française**, Hachette, Paris 1991, p455.

تونس، وذكر أن هذا الإستيلاء سيسهل على العثمانيين السيطرة على افريقيا، ثم يتجهون بعد ذلك لاسترداد الأندلس، وهذا مايخشاه العالم المسيحي.

كانت سياسة المملكة الحفصية في تونس تسير نحو انحطاط مستمر، كان السلطان الحفصي الحسن بن محمد(1) قد أساء السيرة في البلاد وقتل عدداً من أخوته، فاضطربت الأحوال في تونس وخرج البعض عن طاعة السلطان الحفصي، وكان أخو الحسن المسمى بالأمير الرشيد قد هرب من أخيه خوفاً من القتل ولجأ عند العرب في البادية، ثم ذهب إلى خير الدين في الجزائر وطلب منه الحماية والعون ضد أخيه(2) ، فمنحه ذلك خير الدين، الذي كان مركزاً اهتمامه على تونس بسبب ضعف الحفصيين والخلافات الداخلية التي مزقت الأسرة الحفصية، كما كان لتونس في نظره أهمية استراتيجية كبيرة لاشرافها على المضيق الصقلي بحيث تسمح له السيطرة عليها في تحديد وقطع المواصلات بين حوضي المتوسط الشرقي والغربي بالإضافة إلى رغبة خير الدين في توحيد بلاد المغرب تحت حكم الدولة العثمانية ليتمكنوا من استرداد الأندلس(3).

كان السلطان سليمان قد تشاور مع خير الدين بربروسا بأهمية تونس وضرورة دخولها في إطار استراتيجية الدولة العثمانية، لتحقيق هدفها نحو استرداد الأندلس، وتأتي أهمية تونس بالنسبة للدولة من حيث موقعها الجغرافي إذ تقع في منتصف الساحل الشمالي لأفريقيا، وتوسطها بين الجزائر وطرابلس، ولقربها من إيطاليا التي تعتبر أحد جناحي الإمبراطورية الرومانية المقدسة، بينما يمثل الجناح الآخر اسبانيا، علاوة على ذلك مجاورتها لجزيرة مالطة مقر فرسان القديس يوحنا حلفاء الإمبراطور شارل الخامس، وأشد الطوائف

(1) **الحسن بن محمد** : أبو عبد الله الحسن هو الابن الأصغر للسلطان الحفصي أبي عبد الله محمد المتوكل، ويلقب بمولاي الحسن تولى الحكم فيما بين عامي(1526-1543م) واستمر مولاي الحسن في الحكم إلى أن عزله ابنه الأكبر أبو العباس أحمد **1543** م، ومات خلال حصار المهدية **1550** م.أنظر روبار برنشفيك : **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت**1988** ، ص 16.

(2) محمد العروسي المطوى : **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي** ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان 1986 ، ص 152.

(3) محمد العروسي المطوى : المرجع السابق، ص 172 .

المسيحية عداوة للمسلمين ثم الامكانيات الهائلة التي تتيحها موانئ تونس في التحكم في المواصلات البحرية في البحر المتوسط وهكذا تضافرت تلك العوامل على اضفاء الأهمية العسكرية على تونس(1).

كانت المرحلة الثانية بالنسبة لخير الدين بعد هجومه على السواحل الجنوبية لإيطاليا وجزيرة صقلية هي تونس، وذلك لتنفيذ خطة الدولة، والتي تقتضي تطهير شمال افريقيا من الاسبان كمقدمة لاستعادة الأندلس، إذ سبق وأن أشار خير الدين بربروسا على السلطان سليمان القانوني في خطابه للسلطان الذي بعثه قبيل استدعاء السلطان له في (940هـ / 1533م)، إذ قال فيه " ... إن هدفي إذا قدر لي شرف الاشتراك هو طرد الاسبان في أقصر وقت من أفريقيا، ومن الممكن أن تسمع بعد ذلك أن المغاربة قد أغاروا على الاسبان من جديد ليستعيدوا مملكة قرطاجة وأن تونس قد أصبحت تحت سلطانك أنني لا أبغي من وراء ذلك أن أحول بينك وبين توجيه قواتك ناحية المشرق كلا ... لأن هذا لن يحتاج لكل ما تملك من قوات ولاسيما أن حروبك في آسيا أو أفريقيا تعتمد أكثر ما تعتمد على قوات برية، أما هذا الجزء الثالث من العالم فإن كل ما أطلبه هو جزء من أسطولك وسيكون ذلك كافياً، لأن هذا الجزء يجب أن يخضع لسلطانك أيضاً ... (2).

وصل الأسطول العثماني تحت قيادة خير الدين إلى السواحل التونسية فعرج على مدينة عنابة، وتزود ببعض الامدادات، ثم تقدم نحو بنزرت ثم اتجه إلى حلق الواد(3)، إذ تمكن منها بدون صعوبة(4) ، واستقبل خير الدين من قبل الخطباء والعلماء، وأكرموه

(1) زكرياء سليمان بيومي: المرجع السابق ،ج2 ، ص ص 115-116.

(2) ايفانوف نيقولاي : **الفتح العثماني للاقطار العربية** ، تع ،يوسف عطاء الله ، ط 2، دار الفرابي ، بيروت 2004م ، ص127.

(3) **حلق الواد:** حلق الوادي لسان بحري يصل تونس بالبحر، وتفصله مرتفعات عن قرطاج، عرفت عند الأوربيين ب لاغوليت) La Goulette)، وهي كلمة إيطالية محرفة (Goleta) من تسمية حلق الوادي العربية، ارتبط تاريخ هذه القلعة بمدينة تونس التي تفصلها عنها مرتفعات البلفيدير (Belvèdère) ،أنظر هابنسترايت : **رحلة إلى الجزائر وتونس و طرابلس 1732** ، تع وتعليق ناصر الدين سعيدوني ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، تونس2008 ، ص114.

(4) احمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص 230.

وتوجهوا إلى تونس في نفس الوقت وهرب السلطان الحفصي الحسن بن محمد إلى اسبانيا[1] ، ثم عين خير الدين الرشيد أخو الحسن بن محمد على تونس، وأعلن ضم تونس للأملاك العثمانية، في وقت بدت فيه سيادة العثمانيين في حوض البحر المتوسط الغربي[2] .

1-2- أثر جهاد خير الدين على المغرب الأقصى :

استفاد السلطان أحمد الأعرج السعدي[3] من الجهود التي بذلتها الدولة العثمانية والجزائر بقيادة خير الدين بربروسا، فقام بمحاصرة مدينة آسفي بأزمور وذلك سنة (941هـ/ 1534م)، وكادت المدينة أن تقع بيد السعديين لولا النجدات التي بعثها البرتغاليون للمدينة المحاصرة، وقد بدا وكأن تعاوناً قد حصل بين العثمانيين والقوى الإسلامية في المغرب ضد المسيحيين ومراكزهم في الشمال الأفريقي وعندما سمع الملك البرتغالي جان الثالث بوصول الأسطول العثماني في(3 ربيع الأول 941هـ/ 13 سبتمبر1534)بقيادة خير الدين بربروسا إلى الشمال الأفريقي، فكر في الجلاء عن بعض المراكز مثل سبته وطنجة باعتبارها مناطق حيوية للدفاع عن مصالح المسيحيين في غرب البحر المتوسط، ولصد الهجوم العثماني عن شبه الجزيرة الايبرية بعث الملك يوحنا الثالث استفتاء الى جميع الوجهاء والأعيان والأساقفة في بلاده يستشيرهم في موضوع الجلاء عن بعض مراكز الوجود البرتغالي في جنوبي المغرب، وكان المطلوب الاجابة على الأسئلة الآتية: هل ينبغي ترك آسفي وأزمور للمغاربة، هل ينبغي الجلاء عنهما أو عن بعضهما؟ وإذا كان ينبغي الاحتفاظ بهما هل تحول إلى حصون للتقليل من حجم النفقات؟ ثم ماهي الأضرار الناتجة عن ذلك؟

---

(1) حسن حسيني عبد الوهاب : **خلاصة تاريخ تونس** ، ط1 ، الدار التونسية ، تونس 1983، ص 85.

(2) حسن حسيني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 89.

(3) **أحمد الأعرج السعدي** : أبو العباس السعدي المعروف بأحمد الأعرج السعدي (1486-1557م) من مؤسسي الدولة السعدية، تولى ولاية العهد سنة1513م وخلف أبوه القائم بأمر الله وبويع سلطانا للمغرب سنة1518م وظفر في حروبه مع البرتغاليين بأحواز تيلمست وآسفي وغيرهما، فأطاعته بلاد السوس كلها،وكاتبه أمراء هنتانة من مراكش يدعونه إليها، فدخلها في حدود سنة1525م وارتفع شأنه. أنظر عبد العزيز بن عبد الله:**المساهمة المغربية في تحرير الخليج العربي من نير الاستعمار البرتغالين**، ص14.

وكيف نتفاداها؟.

تلقى الملك البرتغالي أجوبة عديدة بين مؤيد في الابقاء على المناطق الجنوبية في حوزة البرتغاليين وبين معارض، وكانت أجوبة رجال الدين للملك جان الثالث موحدة تقريباً تضمنت النصح بالتخلي عن المراكز الجنوبية، يحول الملك كل وسائل الدفاع الموجودة هناك إلى المركز الشمالي لصد الخطر العثماني بقيادة خير الدين بربروسا فأسقف ينصح بإخلاء سانتاكروز وأسفي وأزمور لأن أهميتها أقل بكثير من النفقات التي تصرف عليها، ويرى توجيه القوى ضد فاس، كما ينصح بتحسين وسائل الدفاع عن سبتة خوفاً من هجوم خير الدين عليها(1).

إن الوجود العثماني في الجزائر أثر على موقف الملك البرتغالي في المغرب إذ تراجع عن القيام بعمليات عسكرية فيه، كما أدخل استيلاء العثمانيين على تونس الحيرة لدى البابا، والإمبراطور شارل الخامس الذي اعتبر ذلك تهديداً مباشراً للمسيحية، ولخطوط مواصلاته البحرية مع أطراف مملكته(2) ، فوصل التهديد العثماني أقصاه فضلاً عن أن الدولة العثمانية ضمنت السيطرة على الممرات الضيقة بين صقلية وأفريقيا(3).

- **2- حسن خير الدين بربروسا :**

2-1 جهود حسن خير الدين بربروسا :

شرع حسن بن خير الدين(4) حال وصوله، ليستعد للجهاد ومواجهة المسيحيين، فعمل

(1) عبد الكريم كريم : **المغرب في عهد الدولة السعدية** ، ط 3 ،جمعية المؤرخين المغاربة ، الرباط 2006م. ص 66

(2) عبدالجليل التميمي : **رسالة مسلمي غرناطة الى السلطان سليمان** ، مجلة الدراسات المورسكية ،عدد 3 ، تونس1989.ص12.

(3) عزيز سامح : المرجع السابق ، ص 212.

(4) **حسن آغا** : ولد سنة 1517 و توفي في القسطنطينية سنة 1570، تولى و لاية الجزائر بعد وفاة حاكمها آغا الطوشي سنة 951هـ - 1544م.شرع حسن بن خير الدين حال وصوله مواجهة الغرب؛ فعمل على تحصين مدينة الجزائر و توطيد النظام و صفوف الجيش و حل مشاكل المنطقة، ينظر إبراهيم سعيود :**علاقات الجزائر بالدويلات الايطالية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر(1999-2000م) ص 43.

على تحصين مدينة الجزائر، وذلك في المناطق التي أظهر هجوم شارل الخامس عن ضعفها، كما أخذ يعمل على توطيد النظام في الجزائر وبين صفوف الجيش، ثم انصرف إلى حل مشكلة تلمسان، إذ تبين له أن بقاء الأسرة الزيانية ووجود الاسبان في وهران يعيقان حل المشكلة(1).

كان حاكم تلمسان (أبو زيان) أحمد الثاني(2) قد تولى الحكم بدعم من العثمانيين، غير أنه مالبث أن خضع لمؤامرات خارجية وانساق في تيارها وأخذ يتقرب من الاسبان، مما أدى إلى كره الأهالي له وقرروا خلعه عن العرش ومبايعة أحد أخوته (الحسن) فتوجه أبو زيان إلى وهران طالباً للدعم من الاسبان، مقدماً لهم التعهدات بأن يحفظ على ولائه لهم، فقرر حاكم وهران انتهاز هذه الفرصة، فجهز جيشاً، وانضم اليه جموع الخاضعين للاسبان من بني عامر وفليتة وبني راشد وعلى رأسهم القائد المنصور من بو غنام، وتقدموا إلى تلمسان لابعاد الحسن، واعادة تنصيب أبو زيان على عرش المدينة، وما أن علم حسن بن خير الدين بتحرك القوة الاسبانية، حتى قاد الجيش الإسلامي في تلمسان ليمنع الاسبان من الوصول إلى هدفهم، وتمكن حسن بن خير الدين من ذلك، ودعم حليفه الملك حسن في تلمسان(3) ، الذي اعترف بسلطة الدولة العثمانية كما ترك الباشا حسن بن خير الدين حامية عثمانية بقيادة القائد محمد في قلعة المشوار في تلمسان، إلا أنه مع ذلك ظل نفوذ الدولة العثمانية مهتزاً خارج تلمسان، بسبب مضايقات بعض القبائل المجاورة بقيادة المزوار بن بوغنام، الذي يرغب في مساندة زوج ابنته الأمير مولاي أحمد، حليف الاسبان(4).

---

(1) محمد خير فارس: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي** ، ط1، مكتبة دار الشرق ، بيروت 1969م ، ص ص39،38.

(2) (**أبو زيان**) **أحمد الثاني** : لم يدم ولاء أبو زيان للجزائر طويلا بل انحاز للاسبان و و أعلن خلعه و مبايعة أخيه الحسن فلجأ إلى الاسبان ،فأعدوا جيشا لإعادة الملك المخلوع غير أنه لم تخرج تلك الحملة حتى وقف في وجهها ابن خير الدين سنة1547 ،انظر يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1999، ص 21:

(3) بسام العسلي : **الجزائر والحملات الصليبية (1548م-1791م)**، ط1،دارالنفائس ،بيروت 1980، ص ص21-22.

(4) نبيل رضوان عبد الحي : المرجع السابق ،ص329.

قامت الدولة العثمانية بدعم السلطان الشريف السعدي[1] بنحو عشرين ألف مقاتل، فالتفوا حوله، ودفعوه إلى بناء مراكب حربية للإستيلاء على اسبانيا، فوافق الشريف السعدي على ذلك وصرف لهم أجورهم ومكافآت لهم[2].

واستطاع الشريف السعدي أن ينهي الحكم الوطاسي وأصبح الأسبان متخوفين من هجوم عثماني سعدي مشترك، فقاموا بإنهاء استحكامات مليلة، وفرضت عدة إجراءات أمنية على جبل طارق وقادش وغير ذلك من الاحتياطات.

لقد ظهر السعديون أول الأمر كمحررين للمغرب من الوجود المسيحي فأكسبهم ذلك تأييد المسلمين، إذ اعتبروا ذلك نوعاً من الجهاد فقدمت الدولة العثمانية مساعدات كبيرة لتحقيق ذلك، ثم عرضت على السعديين مشروع استرداد الأندلس، إلا أنه بعد أن دانت بلاد المغرب للشريف السعدي وانتهاء الحكم الوطاسي، توجه الشريف بأنظاره نحو تلمسان، فأرسل جيوشاً كبيرة لإنهاء الحكم العثماني فيها، وعندما شعر العثمانيون بتلك الأطماع وانحراف الشريف السعدي عن الهدف الإسلامي أرسلت له حملات ليعود إلى بلاده[3].

استمر المجاهدون في شمال افريقيا يهددون أمن غرب البحر المتوسط فقاموا بمناوشات بحرية أزعجت التجارة والسفن المحملة بين اسبانيا وايطاليا وغض المجاهدون من أهالي الشمال الأفريقي الجزء من البحر المتوسط بين سردينيا[4] والساحل الأفريقي، وبذلك

(1) **الشريف السعدي:** سلطان الدولة السعدية حكم ما بين سنتي 1540 و1557م وفي عهده قضى على الوطاسيين بالمغرب سنة**1554** م قام بعدها بتوطيد دعائم ملكه وامن البلاد واستولى على تلمسان، انظر بن محمد الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح جعفر الناصري ، دار الكتاب، سنة النشر 1997م، الدار البيضاء، (37/5)

(2) المرجع نفسه، ص330.

(3) عمار بن خروف ، المرجع السابق، ص 45 .

(4) **سردينيا:** هي ثاني أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط (بعد صقلية وقبل قبرص) .هي إقليم ذاتي الحكم من إيطاليا ، ويجاورها جزيرة كورسيكا الفرنسية وشبه الجزيرة الإيطالية وصقلية وتونس وجزر البليار الإسبانية. أنظر الشريف الادريسي : **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية،2002 م ج2،ص355.

اضطرت السفن المسيحية أن تطرق الطرق الأكثر أماناً بالقرب من رأسي كورسيكا[1] ولكن الاحتلال الفرنسي للرأس بمساعدة العثمانيين هددوا أيضاً الاتصالات بين اسبانيا وايطاليا، ولم تكن هناك مهلة لشارل الخامس في الدفاع عن الطرق البحرية ضد القسطنطينية التي كانت حلمه منذ سنوات طفولته، كما أنه صار غير قادر على تقديم مصالح مباشرة لإسبانيا[2].

كان حسن بن خير الدين بربروسا بعد أن هزم السعديين في تلمسان ووطد دعائم الحكم العثماني فيها(959هـ/1551م)، انتهج سياسة مضادة لكل الدول الأجنبية ، بما فيها فرنسا التي كانت ترتبط بالدولة العثمانية بروابط رسمية جيدة، ساعدت الفرنسيين على الإفادة من الامتيازات الاقتصادية التي منحت لها مع استانبول والتي شملت جميع أقاليم الدولة العثمانية، غير أن حسن ابن خير الدين لم يلتزم بذلك ، وأعلن عداءه لفرنسا في مناسبات عديدة فما كان من فرنسا إلا أن أرسلت سفيرها المعتمد في استانبول الى الجزائر يهدف معرفة المدى الذي سيصل إليه حسن بن خير الدين في عدائه لفرنسا ، وفيما إذا كان هذا العداء سيؤثر على العلاقة الاقتصادية مابين فرنسا وبيلربكة الجزائر.

اجتمع سفير فرنسا بالبيلربك حسن بن خير الدين ، وعرض عليه تقديم مساعدات عسكرية ، لتنفيذ مشروع الدولة العثمانية في مهاجمة اسبانيا ، ونجدة مسلمي الأندلس ، لكن حسن رفض هذا العرض، لمعرفته بمواقف فرنسا السابقة من الدولة العثمانية نفسها، وأعلن صراحة أن قضية الجهاد هي قضية خاصة بالمسلمين ، وبين بأنه لاينتصر بكافر على كافر ورجع السفير الفرنسي الى استانبول ، حتى أوغر صدر الباب العالي بقوله: (ان السلطة الواسعة المطلقة التي يمارسها حسن بن خير الدين ومحاولته توسيع مملكته ستحطم

(1) **كورسيكا:** جزيرة فرنسية في البحر المتوسط، تقع غربي إيطاليا، وشمال جزيرة سردانية، وجنوب شرق فرنسا .جزيرة قرشقة هي الرابعة من حيث المساحة في المتوسط بعد (صقلية وسردانية وقبرص)، أنظر الشريف الادريسي: مصدر سابق، ص265 .

(2) نبيل رضوان عبد الحي : المرجع السابق ، ص356.

وحدة الدولة العثمانية وتهدد كيانها بالانقسام)[1] خاصة وأن والدته من الاسر الجزائرية المعروفة.

رأت الدولة العثمانية أنه لزاماً عليها من تغيير سياستها في المنطقة خاصة بعد أن صار المغرب حليفاً قوياً للاسبان، مما أدى الى قلب الموازين الاستراتيجية رأساً على عقب فأتخذ السلطان عدة تدابير لمواجهة الحالة الجديدة، ومن ذلك عزل السلطان سليمان القانوني بيلر بك الجزائر حسن بن خير الدين بدعوى الاساءة الى حسن الجوار مع المغرب، كما دعا الى الوحدة الاسلامية والى حسن الجوار[2].

اسندت الدولة العثمانية بيلربيكيه الجزائر الى صالح رايس[3] في (960هـ/ 1552م)، بدلاً من حسن بن خير الدين[4].

2-2 سياسته في التضييق على الإسبان :

رأى السلطان العثماني ضرورة إعادة حسن بن خيرالدين الى الجزائر وذلك بعد مصرع حسن قور عام(964هـ/1557م)بعد انقطاع استمر لعدة أعوام قضاها في الجهاد في مواطن اخرى، واستبشر الناس برجوعه، وشرع في ترتيب أمور الجزائر، فنظم الادارة ، ورتب الجيش ترتيباً أعانه على ضبطه وبدأ في رحلته الجهادية ووضع أمامه هدفين عظيمين ، تطهير الشمال الأفريقي من الوجود المسيحي واسترداد الأندلس لحوزة المسلمين[5].

---

(1) بسام العسلي: المرجع السابق ، ص ص30-32.

(2) محمد الغربي : **بداية الحكم المغربي من السودان الغربي** ، ط1 ،مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت 1982م ، ص ص90-91.

(3) **صالح رايس:** صالح رايس هو عربي ومن الإسكندرية تعرف إلى الاتراك حين قدومهم إلى مصر وقد رافق البحار خير الدين في رحلاته البحرية من أهم اعماله ساهم في انقاذ بقايا المسلمين في الأندلس وقد تولى منصب حاكم الجزائر في عام 1552 م، أنظر إبراهيم سعيود: مرجع سابق ، ص25.

(4) عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص79.

(5) درويش الشافعي : المرجع السابق ، ص ص 65-66.

أراد حسن بن خير الدين أن يغتنم فرصة انتصار مستغانم لتطهير المركز الاسباني في وهران وأخذ يستعد في مدينة الجزائر لجمع قوى جديدة منظمة منقادة الى جانب الجيش العثماني، فجند عشرة آلاف رجل من زواوة(1)، كما أنشأ قوة أخرى ووضع على رأسها أحد أعوان والده القدامى وفي الوقت نفسه حاول الحصول على تأييد القوة المحلية فتزوج من ابنة سلطان كوكو ابن القاضي(2) وكان هذا الزواج يخدمه من ناحية اخرى في الاستعانة بقوة ابن القاضي لمواجهة زعيم قبلي آخر عبدالعزيز بن عباس الذي أعلن استقلاله في المغرب(3)، بذلك صار اسطول الدولة العثمانية يتردد دائماً على مدينتي حجر باديس وطنجة(4).

عين حسن بن خير الدين في عام (965هـ/1558م)بويحيى الرايس(5) قائداً على باديس، فقام بتخريب الساحل الاسباني من قرطاجنة حتى رأس سانت فنست(6)، وصار

(1) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص377.

(2) ابن القاضي : **سلطان مملكة كوكو التي تناوب عليها 9 ملوك وهم من سلالة بني القاضي، سلالة بربرية من السلاطين حكمت في منطقة القبائل الكبرى وجبال جرجرة في الجزائر من(1511– 1750م)، مقرهم جبل كوكو بجبال جرجرة أنظر :**Djurdjura à travers l'histoire : depuis l'Antiquité jusqu'à 1830 : organisation et indépendance des Zouaoua Auteur : Boulifa, Ammar ou Saïd (1865–1931)

(3) محمد خير فارس: المرجع السابق ، ص45.

(4) اسماعيل سرهنك: **حقائق الأخبار عن دول البحار**، ط1 ، المطبعة الاميرية ، مصر1883، ج1 ،ص319 .

(5) درويش الشافعي : المرجع نفسه ، ص67.

(6) **سانت فنست:** كيب سانت فنسنت (البرتغالية: كابو دي ساو فيسنتي النطق البرتغالي بجانب نقطة ساغريس، على ما يسمى كوستا فيسينتينا (**Vincentine** كوست)، هو الرأس ساغريس، في الجرف، جنوب البرتغال أنظر الادريسي: مصدر سابق ، ص365.

تحت قيادته في باديس عدة سفن وتلقب بحق سيد مضيق جبل طارق، وقد جاء في تقرير اسباني أن يحي يملك أربع سفن حربية الأولى بقيادته وعلى ظهرها 90 عثماني مسلحين بالسهام والأقواس والمناجيق والثانية يقودها قره مامي وعلى ظهرها 80 عثماني مسلحين بنفس الأسلحة والثالثة بقيادة مراد الرايس بقوة 70 جندي، والرابعة تحمل نفس العدد وبنفس الأسلحة وبالاضافة الى هذه السفن الأربعة العاملة عبر مياه المضيق، كان في حوزة بويحي سفينتان في باديس ويقوم بصنع سفينة اخرى، ويتصل بنشاط سفن باديس سفن تطوان العرائش وسلا، ففي تطوان ثلاث سفن صغيرة ، وفي العرائش ثلاث سفن اخرى على شاكلة سفن تطوان، وفي سلا سفينتان من النوع الآخر، إلا أن السفن الأخيرة لم تتبع قيادة بويحي ودعا حسن بن خير الدين السفن الحربية الاسلامية للنهوض بنشاط يستهدف تخريب سواحل الأندلس والاستيلاء على سفن الهند ورفع تجار اشبيلية نتيجة لذلك شكواهم للملك الاسباني يشكوون فيها الفظائع التي تركتها سفن باديس والسفن الاسلامية الأخرى ضد السفن الاسبانية على طريق الملاحة والتجارة الهندية[1]، ولم تستطع السفن العبور دون إذن من بويحي، فعم الخوف سكان الساحل الاسباني ، لدرجة أن هؤلاء لم يكونوا يزرعون أراضيهم إلا بكل حذر، وغالباً ما كان العثمانيون يحاصرونهم أثناء عملهم وكذلك الصيادون لم يكونوا يبتعدون كثيراً عن الشاطئ[2].

أعاد السلطان العثماني سليمان القانوني حسن بن خير الدين الى بيلربكية الجزائر للمرة الثالثة في أواخر سنة(970هـ/1562م) معززاً بعشرة سفن حربية ومزوداً بقوة عسكرية مسلحة[3] قضى بعدها حسن بن خير الدين خمسة أشهر بعد عودته يهيء العدة والعتاد لمهاجمة وهران والمرسى الكبير وهما كل مابقي لاسبانيا ببلاد الجزائر[4].

(1) ابراهيم شحاتة حسن : المرجع السابق، ص219.

(2) عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص90.

(3) عبد الرحمان الجيلالي : المرجع السابق ، ج3 ، ص 93.

(4) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص379.

خرج حسن بن خير الدين في سنة (971هـ/1563م)من مدينة الجزائر نحو الغرب ، يقود جيشاً كبيراً مؤلفاً من خمسة عشر ألف رجل من رماة البندقية وألف فارس من الصباحية تحت أمرة احمد مقرن الزواوي ، واثنى عشر ألف رجل من زواوة وبني عباس، أما مؤن وذخيرة الجيش فقد حملها الاسطول العثماني الى مدينة مستغانم التي اتخذها قاعدة للعمليات وفي 13 ابريل وصل حسن خير الدين بكامل قوته أمام مدينة وهران وضرب حصار حولها، وكان الاسبان مستعدين لتلقي الصدمة وراء حصونهم وقلاعهم(1)، بعد أن توالت النجدات الاسبانية والبرتغالية على وهران استجابة لنداء حاكمها، ومنذ أن صارت القوات العثمانية على مسافة مرحلتين، وبينهما كان البيلربك نفسه على بعد ست مراحل مما اضطر حسن بن خير الدين الى رفع الحصار قبل وصول المزيد من هذه النجدات التي اتخذت من مالطة مركزاً لتجمعها(2) وهكذا لم يستطع حسن بن خير الدين من تحقيق هدفه ذلك لأن فيليب الثاني(3) كان قد وضع برنامجاً طموحاً للأسطول الاسباني، والبناء البحري في ترسانات إيطاليا وكطالونيا، كما وردت لخزانة اسبانية إعانة من البابوية واجتمعت سلطة قشتالة التشريعة في جلسة غير عادية ، وأقرت وجوب امداد اسبانيا بمعونات مالية، لتساندها في حربها مع العثمانيين ، ومما كانت ثمرة تلك المجهودات وإعادة التنظيم لهيكل اسبانيا وهزيمة العثمانيين في وهران سنة(971هـ/1563م).

بدأ فيليب الثاني يستعد لاحتلال جزيرة باديس وتشجع بذلك النصر الذي حققه في وهران ، وتوجه لذلك اسطولاً في نفس السنة (971هـ/1563م)، فقاوموه مقاومة عنيفة،

(1) المرجع نفسه ، ص379.

(2) ابراهيم شحاتة حسن : المرجع السابق ، ص213.

(3) **فيليب الثاني:** بن شارل الخامس عمل على تعزيز مكانة إسبانيا السياسية والعسكرية. أيد الكاثوليكية بقوة، فساعد ذلك على نشوب الثورة في النذرلند (1568–1609م) وإلى التورط الإسبان في حروب ضد العثمانيين (1571–1578م)، وضد انكلترا (1588–1604م). بلغت محاكم التفتيش في عهده ذروتها. شيد الأسكوريال بين عامي 1563 و 1584م. نقل فيليب الثاني ملك إسبانيا البلاط الملكي من طليطلة إلى مدريد في 1561م.انظر فكاير : مرجع سابق ، ص36.

اضطرت الأسطول الى التراجع[1] والجدير بالذكر أن جزيرة باديس كانت أقرب نقطة مغربية الى جبل طارق، وأنها كانت بالنسبة لهم ميناءً هاماً[2]، إذ يمكنهم من خلالها العبور للأندلس ، كما يمكنهم التسلل لداخل الأراضي الاسبانية لتقديم المساعدة للمسلمين هناك والذين أطلقوا على أنفسهم الغرباء، وهذا مادفع الاسبانيين الهجوم عليها من خلال محاولتهم السابقة كما كانت جزيرة باديس بالإضافة الى ذلك مثار رعب وخوف لدى السلطان السعدي الغالب بالله، إذ خاف السلطان أن يخرج الأسطول العثماني من تلك الجزيرة الى المغرب، فاتفق مع الاسبان أن يخلي لهم الادالة من حجرة باديس ويبيع لهم البلاد ويخليها من المسلمين ، وينقطع اسطول العثمانيين في تلك الناحية[3]، مقابل الدفاع عن شواطئ المغرب إذ هاجمها الاسطول العثماني الذي علم بتلك المؤامرة فانسحب ورجع الى الجزائر[4] كما عزل بويحي رايس من منصبه في باديس في أواخر عام 971هـ/1563م، وانصرف العثمانيون عن الحرب في غرب البحر المتوسط، إذ توجه نشاط الاسطول الحربي الى جزيرة مالطة في الشرق[5] .

- **3- صالح رايس :**

3-1 سياسته الداخلية والخارجية :

بعث السلطان العثماني مرسومه الى العلماء والفقهاء وسائر رعايا الجزائر يعلمهم فيه بتقليد صالح رايس مقاليد الولاية وقد جاء في ذلك المرسوم مايلي: (... هذا مرسومنا .. ارسلناه الى العلماء والفضلاء والفقهاء والأئمة والخطباء وجميع العلماء والقواد والنقباء وسائر

(1) محمد العربي الزبيري: **مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث** ، ط1 ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1985م ، ص 66.

(2) عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص36.

(3) مؤلف مجهول: **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية** ، تق تح ، عبد الرحيم بن حادة، ص89.

(4) محمد بن عبد السلام عبود : **تاريخ المغرب** ، ط2 ، دار الطباعة المغربية ، تطوان 1957 م، ص17.

(5) ابراهيم شحاتة حسن : المرجع السابق ، ص ص190-191.

رعايانا بولاية الجزائر الغربية، زيد توفيقهم يتضمن اعلامهم ان صدقاتنا الشريفة العالية الخاقانية وعوارضنا السنية السامية السلطانية قد انعمت على مملوك حضرتنا العالية ومعتمد دولتنا القانية امير الأمراء الكرام... صالح باشا دام اقبالاً ، بولاية الجزائر لفرط شهامته وشجاعته وكمال قوته وصلابته وحسن سيرته وصفاء سريرته فوضنا إليه تلك الارض وأمرناه باحياء السنن والفروض والرعايا الذين هم ودائع الله تعالى وحفظ الثغور وسد خارق الأمور، لتكون رعايا أهل الاسلام ثمة في ايام دولتنا العادلة في اكمل الراحة، واجمل الاستراحة آمنين مطمئنين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون، فليكونوا مع امير الأمراء المشار إليه على احسن حال واكمل اتفاق مراد حضرتنا قيام قاموس الشرع القويم والصراط المستقيم واحيائه مراسم الاسلام وطريقة سيد الانام وحفظ العباد وصون البلاد وقمع الكفرة الفجرة بكل ناد وتقبلوا ذلك وتعتمدونه والله تعالى هو الموفق بمنه ويمنه والعلامة الشريف حجة بمضمونه)[1].

تحريراً في أوائل محرم سنة تسع وخمسين وتسعمائة الموافق(960هـ/ 1552م).

عمل صالح رايس في سياسته الداخلية على تحقيق امرين:

1- تحقيق الوحدة بصفة تامة مطلقة بين كل اجزاء الجزائر .

2- ادخال بقية اجزاء الصحراء الجزائرية ضمن هذه الوحدة حتى يتفرغ للاندلس، اما سياسته الحربية الخارجية فقد كانت ترمي الى ثلاثة اهداف:

أولها: ابعاد الاسبان نهائياً عن اراضي الجزائر.

ثانيهما: وضع حد فاصل للمشاغبات والمفاجأت التي تقوم بها الدولة المغربية السعدية.

وثالثها :اعلان نفير الجهاد العام والسير براً وبحراً على رأس الجيوش الاسلامية الى بلاد الاندلس[2].

ابتدأ صالح رايس في مستهل ولايته بتحقيق الوحدة الداخلية، واستطاع ان يخضع الامارات المستقلة لنفوذ الدولة العثمانية واصبح وضع العثمانيين في الجزائر أقوى مما كان

(1)عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص366.

(2) عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص 11.

عليه ثم بدأ صالح رايس في مخططه نحو المغرب الأقصى واستفاد من الظروف التي تمر بها تلك الديار ووقف مع احد افراد اسرة بني وطاس الذي فقد أمله في وقوف الاسبان والبرتغاليين معه.

وتحركت القوات العثمانية للوقوف مع ابي حسون الوطاسي[1] وحصلت اصطدامات عسكرية بين قوات محمد الشيخ والقوات العثمانية قرب بادس التي رسا بها الاسطول العثماني إلا أن الهزيمة لحقت بالقوات السعدية، مما أفسح المجال امام العثمانيين لكي يواصلوا زحفهم نحو الداخل، وقبل أن تنتهي سنة(963هـ/1553م)، سقطت مدينة تازة في يد العثمانيين الذين اشتبكوا مع السعديين في معارك متواصلة في ساحة فاس، عند ذلك تقدمت القوات العثمانية ومعها ابو حسون نحو فاس التي دخلتها في (3 صفر سنة 964هـ/ 8 يناير 1554م)[2].

واعلن الباب العالي ضم المغرب الى الدولة العثمانية بعد ان خطب الامام للسلطان العثماني[3].

ازداد فزع الاسبان والبرتغال لرؤية الاساطيل العثمانية وهي تسيطر على بعض الموانئ المغربية القريبة من مراكز احتلالهم التي سيطر عليها العثمانيين ومن ثم التوجه للاندلس، وقد جاء في الرسالة التي بعثها الملك البرتغالي جان الثالث [4] الى الامبراطور شارل الخامس، مايدل على هذا الفزع اذ كتب إليه يحثه على التدخل في المغرب للحيلولة دون توطيد العثمانيين لاقدامهم في هذه البلاد، لان ذلك يشكل خطراً كبيراً على مصالح

---

(1) **ابي حسون الوطاسي:** آخر سلطان للمغرب من الوطاسيين، حكم سنة.1554 م،**أنظر** ابراهيم شحاتة حسن : **اطوار العلاقات المغربية العثمانية** ، ص150.

(2) عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص ص80-81.

(3) محمد الغربي : المرجع السابق، ص91.

(4) **جان الثالث:** ابن الملك مانويل الأول و ماريا أراغون ، الابنة الثالثة من الملك فرديناند الثاني من أراغون و الملكة إيزابيلا الأولى من قشتالة . جون خلف والده في عام1521 م، في سن التاسعة عشرة.خلال فترة حكمه ،أنظر: فكاير ، مرجع سابق ، ص65.

الأمتين[1].

مكث صالح رايس بمدينة فاس اربعة اشهر ضمن خلالها استقرار الامور للدولة العثمانية، وفي خلال تواجده في فاس لم يترك الجهاد ضد الاسبان فأرسل فرقة من جيشه الى الريف المغربي استرجع من الاسبان معقلهم الكبير باديس او صخرة فالين كما يدعونها[2]، كما حاول صالح رايس ان يستبدل الباشا العثماني ابا حسون بالشريف الادريسي الراشدي مولاي بوبكر، بناء على اقتراح المرابطين الصوفيين للقيام على حكم فاس باسم السلطان العثماني، إلا ان ثورة الأهالي اضطرت صالح رايس لاعادة بوحسون الى حكم فاس، فأذعن بوحسون لشروط العثمانيين بشأن الحفاظ على السيادة العثمانية من حيث الخطبة باسم السلطان العثماني واقامة حامية عثمانية في مقر بلاطة[3].

3-2 تمهيده للعمل المشترك في استرداد الأندلس:

لم يكن صالح رايس يهتم قبل كل شيء إلا بمحاربة الاسبان، ولا يهدف من وراء أي عمل إلا جمع القوى الاسلامية من أجل تطهير البلاد من التواجد المسيحي، كان يرى قبل كل شيء وجوب طرد الاسبان من وهران، من النزول الى الاندلس، لكن كيف يتسنى له ذلك وسلطان السعديين بالمغرب يترقب به الفرص وسلطان قلعة بني عباس ببلاد مجانة يعلن انفصاله واستقلاله، ترامت لصالح رايس يومئذ الانباء عن ضعف القوى الاسبانية بمدينة مجانة، علاوة عن معاناة الحامية بالضيق فرأى صالح أن يغتنم الفرصة وأن يبدأ بتطهير الشرق من الاسبان قبل أن يطهر الغرب ولعل انقاذ بجاية سيكون له اثر في عودة ملك بجاية الى حظيرة الوحدة الاسلامية تحت ضغط السكان سار صالح رايس في سنة (963هـ/ 1555م) نحو مدينة بجاية على رأس قوة كبيرة بنحو ثلاثين ألف رجل عززهم في الطريق بالمجاهدين في امارة كوكو، فوطدت الجيوش العثمانية وحاصروا المدينة، بينما جاء

(1) عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص81.

(2) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص342.

(3) ابراهيم شحاتة حسن : **اطوار العلاقات المغربية العثمانية (قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون 1510م-1981م)** ، ط1، دار المعارف ، الاسكندرية 1980م، ص147.

الاسطول العثماني يحمل الاسلحة والمدافع بجانب الجيش وصوب المسلمين قذائفهم على القلعة[1] ودارت معركة عنيفة ونجح صالح رايس في انتزاع بجاية من الاسبان في سنة(963هـ/ 1555م)، ولم يستطيع حاكم نابولي من نجدة حاكمها في الوقت المناسب[2]، كما استسلم الحاكم الاسباني للقوات العثمانية[3].

4- جهود قلج علي لإنقاذ مسلمي الأندلس:

اسند منصب بيلربك الجزائر الى قلج علي[4] في سنة(976هـ/ 1568م) وعرف عنه بالعزم في تسيير الادارة والبطولة الحربية والشجاعة[5].

اتخذ قلج علي خطوات عملية لتنفيذ مشروع خطير للغاية وهو إعادة الحكم الاسلامي في اسبانيا وتحرير الشمال الافريقي من الجيوب الصليبية فوجه اهتمامه الى الأسطول أكثر من غيره وصار بعده مبعث قلق ورهبة للأوروبيين[6]، كما انتزع من الفرنسيين حق احتكار المرجان بمركز القالة بسبب تماطلهم وتخلفهم عن دفع الضريبة لثلاث سنوات مضت وتصرفهم في المنطقة التي نزلوا فيها تصرف السادة[7].

4-1- إعادة تونس للحكم العثماني :

صمم قلج علي على ضرورة تصفية القواعد الاسبانية في تونس، قبل أن يبدأ نشاطه

---

(1) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ص 343 -344.

(2) محمد خير فارس: المرجع السابق ، ص41.

(3) عبد الرحمان الجيلالي : **تاريخ الجزائر العام** ، ط4 ، دار الثقافة ، بيروت 1980 ، ج3 ، ص 88.

(4) **قلج علي:** ولد علج علي في 1520 م، في منطقة كلاباريا في جنوب إيطاليا، أسر حين ذهابه إلى نابولي للدراسة وأتي به إلى الجزائر في حوالي 1536 م، بقي عدة سنوات يجدف في سفن الجزائر اعتناق الإسلام .وتدرج بسرعة في سلم المسؤوليات إلى أن أصبح من رياس البحر المشهورين،أنظر جون وولف : **رياس البحر**، تعريب أبي القاسم سعد الله ، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الثالث، الجزلئر 1987 م، ص43 .

(5) ابراهيم شحاتة حسن : المرجع السابق ، ج3 ، ص95.

(6) شارل اندري جوليان : المرجع السابق، ج3 ، ص 346.

(7) شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير**، ط1، مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة 1977 ، ص 100.

في شبه الجزيرة الايبيرية[1]، وذلك لتعبئة الدفاع عن طرابلس والجزائر وكان الاسبان قد اتخذوا من تونس نقطة ارتكاز وقاعدة انطلاق على العثمانيين في طرابلس والجزائر[2]، لذلك لابد من تأمينها.

كان قلج علي على اتصال بالوزير الحفصي أبي الطيب الخضار ورأى ذلك الوزير أن فتح تونس قد حان وقته وأرسل الى قلج علي يهون عليه أمرها ويتعهد له بتقديم العون[3].

جهز بيلربك الجزائر قلج علي جيشاً مؤلفاً من نحو سبعة آلاف مقاتل وزحف به نحو تونس فقابل سلطانها أبي العباس أحمد[4] بباجة، ثم بعد قتال عنيف انهزم الأمير الحفصي الحفصي وتقدم قلج علي بمجموعة نحو تونس وأخذ بيعة أهلها للسلطان سليم الثاني[5] ورتب حامية لحراسة البلاد تحت رعاية حيدر باشا وعاد الى مقره بالجزائر[6]، وبقيت منطقة منطقة حلق الواد بيد الاسبان، وكانت قوات قلج علي لاتكفي وحدها لتطهير البلاد من الاحتلال الاسباني ، لذا فإنه كتب الى استانبول يطلب مده بقوة تكفي لتحرير الموقع[7]، وكان اهتمام قلج علي بشرق الجزائر سياسة اختص بها من دون اسلافه، فكان يرى أنه لابد

---

(1) جلال يحيى: **المغرب الكبير(العصورالحديثة وهجوم الاستعمار)** ، ط1 ، الدار القومية للنشر والتوزيع ، القاهرة 1966، ص84.

(2) عزيز سامح التر: المرجع السابق ، ص84.

(3) محمد خير فارس: المرجع السابق ، ص49.

(4) **أبي العباس أحمد:** أبو العباس أحمد هو الابن الأكبر لمولاي الحسن الحفصي، وقد افتك الحكم من والده عام **1543** م وكانت تونس آنذاك تحت الحماية الإسبانية، واستمر على العرش الحفصي إلى عام.**1573**م أنظر محمد الحبيب الهيلة : **المفتي أبو القاسم عظوم في عصره**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2010م، ص 25.

(5) **سليم الثاني:** سليم الثاني بن سليمان القانوني بن سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح يعد سليم الثاني أول سلطان عثماني يولد في إسطنبول، وكذلك أول من يموت فيها منهم، كما أنه أول سلطان قعد عن قيادة الحملات أنظر: اوزتونا يلماز: **تاريخ الدولة العثمانية**، تر ، عدنان محمود سلمان، المجلد الأول. (1988م). ط1،ص95.

(6)عبد الرحمان الجيلالي : المرجع السابق ، ج3 ، ص96.

(7) عزيز سامح : المرجع السابق ، ص85.

من تأمين ظهره ليتسنى له التقدم للغرب، ثم التوجه للأندلس، بعد أن يكون قد أضعف التواجد الاسباني في الشمال الأفريقي(1).

4-2- دعم قلج علي لثورة مسلمي الأندلس :

كانت حركة الجهاد في الشمال الأفريقي قد شجعت مسلمي الأندلس وفجرت طاقاتهم الكامنة وجعلتهم يتغلبون على الحواجز النفسية التي بنيت في نفوسهم على مر السنين وسادت الاقاليم الاسبانية موجة من الظلم والارهاب والفظائع(2)، فهذه الحالة المربكة وماصاحبها من مظالم وويلات جعلت بقية مسلمي اسبانيا في الجنوب سواء من الذين ظلوا محافظين على دينهم أو المنتصرين ظاهرياً، يتأهبون للانقضاض على الحكم الاسباني(3).

سادت اسبانيا ارهاصات ثورة المسلمين في غرناطة فشكل الملك الاسباني فيليب الثاني نوعاً جديداً من القوات تقيم في كل مدينة من مدن اسبانيا لمواجهة الثورة بين الذين استقبلوا مبعوثين من ملك فاس لجمع الخراج على تبعيتهم في الولاء لسيادة الأمير السعدي، كما تلقى مسلمي الأندلس مساعدات عثمانية(4)، اصبح الموقف صعباً بالنسبة لاسبانيا خاصة غرناطة ومما زاد الحالة خطورة أن بحرية فيليب الثاني كانت متفرقة في أنحاء بعيدة، وحصونه غير معززة والسواحل مكشوفة، خاصة الشواطئ الجنوبية موقع المجاهدين.

بعد أن أعيت النصارى كل الوسائل للقضاء على الروح الدينة لمسلمي الأندس وتحويلهم للمسيحية لجأوا الى العنف فحرموا على المسلمين التحدث بالعربية والاتصال بالمسلمين في الشمال الافريقي وفي بعض اقاليم اسبانيا كما حرموا على النساء الخروج الى الشوارع متحجبات وقفل أبواب دورهم وتحطيم الحمامات وإقامة الحفلات حسب تقاليدهم، كل

---

(1) محمد سي يوسف : **قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية** ، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والنعاصر ، غير منشورة ، جامعة الجزائر 1988م ،ص 65.

(2) ليلى الصباغ : **ثورة مسلمي غرناطة عام (976هـ/1569م) والدولة العثمانية** ، الاصالة ،ع 27، الجزائر 1975م، ص35.

(3) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص392.

(4) ابراهيم شحاتة حسن : المرجع السابق ، ص179-204.

ذلك فجر الثورة وقاد مسلمي الأندلس الى حرب البوشارات[1] التي هي أهم حرب أو ثورة مسلحة قام بها المسلمون بعد سقوط غرناطة كانت هذه الحرب في(975هـ/ 1568م) وتزعمها محمد بن أمية[2].

كان قلج علي على اتصال مباشر بقيادة مسلمي الأندلس عبر قنوات خاصة أشرف عليها جهاز الاستخبارات العثمانية واستطاع هذا القائد أن يمد الثوار في اسبانيا بالرجال والاسلحة والعتاد، وتم الاتفاق مع مسلمي الاندلس على القيام بثورة عارمة في الوقت الذي تصل فيه القوات الاسلامية من الجزائر الى مناطق معينة على الساحل الاسباني[3].

جمع قلج علي جيشاً عظيماً قوامه أربعة عشر ألف رجل من رماة البنادق وستين ألفاً من المجاهدين العثمانيين من مختلف أرجاء البلاد، وأرسلهم الى مدينتي مستغانم ومازغران استعداداً للهجوم على وهران ثم النزول في بلاد الأندلس، وكان يرافق ذلك الجيش عدداً كبيراً من المدافع وألف وأربعمائة بعير محملة بالبارود الخاص بالمدافع والبنادق.

وفي اليوم المتفق عليه وصلت اربعون سفينة من الأسطول العثماني أمام مرسى المرية الاسباني ، لشد آزر الثورة ساعة نشوبها لكن أخفق ذلك المخطط وذلك بسبب سوء تصرف أحد رجال الثورة الأندلسيين إذ انكشف أمره فداهمه الاسبان، وضبطوا ماكان يخفيه من سلاح[4] بعد أن نجح قلج علي في انزال الأسلحة والعتاد والمتطوعين على الساحل الاسباني[5]، لم تقع الثورة في الموعد المحدد لها، وضاعت بذلك فرصة مفاجئة الاسبان[6].
الاسبان[6].

---

(1) **البوشارات:** ثورة المورسكيين أو(ثورة البشرات) بالإسبانية (**Rebelión de las Alpujarras**: **1568**) . (**1571**) هو ثورة على تاج قشتالة قام بها مسملو غرناطة الذين أجبروا على التنصر بعد سقوط مملكة غرناطة .أنظرجمال يحياوي : مرجع سابق ،ص42.

(2) محمد قشتيليو : **محنة المورسيكوس في اسبانيا** ، مطبعة الشويخ ، نطوان 1980،ص ص 33-34-35.

(3) عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 268.

(4) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ص392-393.

(5) عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع السابق ،ج2 ، 269.

(6) ليلى الصباغ : المرجع السابق ، ص 54.

لقد قام قلج علي في سنة (976هـ/ سنة 1569م)ببعث اسطول الجزائر لتأييد الثائرين في محاولتهم الأولى، وحاول انزال الجند العثماني في الأماكن المتفق عليها ، لكن الاسبان كانوا قد عرفوا ذلك بعد اكتشاف المخطط فصدوا قلج علي عن النزول وكان الثورة في عنفوانها، وزوابع الشتاء قوية في البحر فالأسطول الجزائري صار يقاوم الاعاصير من أجل الوصول الى أماكن أخرى من الساحل ينزل بها المدد المطلوب ، إلا أن قوة الزوابع أغرقت 32 سفينة جزائرية تحمل الرجال والسلاح، وتمكنت ست سفن من انزال شحنتها فوق سواحل الأندلس، وكان فيها المدافع والبارود والمجاهدين(1).

استمر قلج علي في امداد مسلمي الأندلس رغم الكارثة التي حلت بقواته ، وتمكن ذلك المجاهد الفذ من انزال اربعة آلاف مجاهد من رماة البنادق مع كمية كبيرة من الذخائر وبعض من قادة المجاهدين العثمانيين، للعمل في مراكز قيادة جهاد مسلمي الأندلس(2).

وعاد العثمانيون فأرسلوا دعماً جديداً من الرجال والسلاح وإعانة للثورة الاندلسية، فصدرت الأوامر الى قلج علي بذلك في (977هـ/ 1570م) (... عليك بالتنفيذ بما جاء في هذا الحكم حال وصوله وأن تعاون أهل الاسلام المذكورين بكل مايتيسر تقديمه لهم وأن الغفلة عن الكفار أصابهم الدمار غير جائزة...) وكان القائد المجاهد قلج علي قد عزم على الذهاب بنفسه ليتولى قيادة الجهاد هناك لكن ما شاع عن تجمع الاسطول الصليبي للقيام بمعركة حاسمة مع المسلمين وأمر السلطان العثماني له بالاستعداد للمشاركة في هذه المعركة جعله مضطراً للبقاء في الجزائر منتظراً لأوامر استانبول(3).

وفي غمرة الثورة الاندلسية اتهم زعيم الثورة ابن أمية بالتقاعس عن الجهد وهاجمه المتآمرون وقتل في منزله واختير مولاي عبدالله بن محمد بن عبو(4) بدلاً منه وبعث قلج

(1) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص393.

(2) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص394.

(3) محمد سي يوسف : المرجع السابق ، ص65

(4) عبدالله بن محمد بن عبو:القائد الثاني في حرب البشرات (1568-1571م) بعد استشهاد قائد الثورة محمد بن أمية، كان من أوئل من انضموا للثورة فور قيامها، أنظر جال يحياوي : المرجع السابق، ص65.

علي تعزيزات له ونجح الزعيم الجديد في حملاته الأولى ضد النصارى الاسبان وطوق جيشه مدينة أرجيه.

انزعج الاسبان لهذا التطورات وعين دون جوان النمساوي [1]على قيادة الاسطول الأسباني (وهو أخ غير شرعي للأمبراطور شارل) فباشر قمع الثورة في سنواتها (977-978هـ/1569-1570م)، وأتى من الفظائع مابخلت بأمثاله كتب الوقائع فذبح النساء والأطفال أمام عينيه، وأحرق المساكن ودمر البلاد وكان شعاره لاهوادة وانتهى الأمر بإذعان مسلمي الأندلس، لكنه إذعان مؤقت، إذ لم يلبث مولاي عبدالله أن عاد الكرة، فاحتال الاسبان عليه ، حتى قتلوه غيلة ونصبوا رأسه منصوباً فوق أحد أبواب غرناطة زمناً طويلاً[2].

(1) **الدون خوان**:Don juan d'Autriche أمير إسباني لكنه أخ غير شرعي لشارل الخامس، ولد في 24 فيفري 1545م،وكان ضابطا كبيرا، عندما وصل فيليب الثاني إلى الحكم أرسله للقضاء على ثورة الموريسكيين سنة1568 م في غرناطة فنجح في ذلك وعُين قائدا عاما للقوات المتحالفة التي واجهت العثمانيين في ليبانت، ثمّ حاكما على بولندا، لكنه لم يفلح في القضاء على ثورة البروتيستانت، توفي مسموما سنة **1578** م **.** أنظر **Dictionnaire, op.cit, p699.**

(2) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص395.

المبحث الثالث : المعيقات التي حالت دون استرداد الاندلس

1- الصراع العثماني الاسباني في حوض المتوسط

1-1- إستيلاء شارل الخامس على تونس:

كان الموقف ملائماً بالنسبة لاسبانيا وذلك للقيام برد عنيف فقد انشغلت الدولة العثمانية بالحرب مع الشيعة الروافض في بلاد فارس، وطغى على الصراع في أوربا ووعد فرنسوا الأول (1) ملك فرنسا شارل الخامس بالحياد – تردد شارل في اختيار المكان الذي سيوجه إليه ضربته في شمال أفريقيا الجزائر أو تونس ولكن استنجاد السلطان الحفصي الحسن بن محمد والرغبة في عزل استانبول دفع شارل الخامس إلى اختيار تونس للهجوم(2)

قاد شارل الخامس عملية بحرية شاقة تكونت من ثلاثين ألف مقاتل اسباني وهولندي وألماني ونابولي وصقلي، على ظهر خمسمائة سفينة، وركب الأمبراطور البحر من ميناء برشلونة وعندما رست سفنه أمام تونس قامت المعارك العنيفة بين الطرفين(3)، الأمر الذي أعاد السيطرة الاسبانية على تونس في(942هـ/1535م)(4) إذ لم تكن قوة خير الدين بكافية للرد على ذلك الهجوم، فكان الجيش الاسلامي تعداده سبعة آلاف جندي عثماني وصلوا مع خير الدين ونحو خمسة آلاف تونسي، كما تخلف الأعراب عن الجهاد فكانت النتيجة الحتمية أن استولى شارل على معقل حلق الوادي مرسى تونس، تونس(5)، ونصب الاسبان

---

(1) **فرنسوا الأول** : (François1) ولد سنة1494 م ، حكم فرنسا سنة 1515 م ، كانت أيامه مصروفة لمحاربة شارلكان الذي كان من مقاصده إخضاع أوروبا كلها لسيطرته فقاومه ملك فرنسا مقاومة عنيفة، وساعده على ذلك السلطان العثماني سليمان القانوني، كما أعلى شأن الجندية، وبسط الزراعة والصناعة، وصارت فرنسا من عهده روضة أوروبا الزاهرة بالحضارة والمدنية، لكنه مات مقتولا سنة 1559 م . أنظر فريد وجدي : مرجع سابق، ج 7 ، ص. 242 .

(2) محمد خير فارس: المرجع السابق ، ص34.

(3) اسماعيل سرهنك: المصدر السابق ، ج1 ، ص 420.

(4) نبيل رضوان عبد الحي : المرجع السابق ، ص321.

(5) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص321.

الحسن بن محمد حاكماً عليها، وعملاً بمنطوق المعاهدة كان الحسن بن محمد سيسلم بونه والمهدية الى شارل الخامس، فاستولى على بونة، وبما أن المهدية كانت في حوزة العثمانيين ، فإن الحسن لم يستطع الوفاء بعهده فاشترط الاسبان عليه أن يكون حليفاً ومساعداً لفرسان القديس يوحنا بطرابلس(1)، وأن يقوم بمعاداة العثمانيين وأن يتحمل نفقات ألفي اسباني على الأقل يتركون كحامية في قلعة حلق الواد وعاد شارل الخامس الى اسبانيا واستقبل استقبال الغزاة الفاتحين في الوقت الذي كان فيه السلطان يحارب فيه الدولة الصفوية الشيعية الرافضية لبلاد فارس(2).

2-1 التقارب البرتغالي السعدي :

تلقى الملك أحمد الوطاس هزيمة(943هـ/1536م)من السعديين في موقعة بير عقبة قرب وادي العبيد، بسبب تخلي قبائل الخلوط (3)التي كادت تكون القوة الأمامية للجيش الوطاسي، ونشرت الفوضى في سائر الجيش وأثر هذه الهزيمة تقرب أحمد الوطاسي من البرتغال وذلك نتيجة شعوره بانشغال العثمانيين في حروبهم ضد الاسبان ووقع معهم معاهدة لمدة أحد عشر عاماً(4) تقضي بوضع المغاربة المقيمين في ضواحي أصيلا وطنجة والقصر الصغير تحت السلطة القضائية لملك فاس، كما يجوز لرعايا الملك الوطاسي المتاجرة بحرية داخل تلك المناطق باستثناء تجارة الأسلحة والبضائع المحظورة وإذا وصلت مراكب عثمانية أو فرنسية أو تابعة لمسيحيين من غير الاسبان ولا البرتغاليين إلى أراضي برتغالية، محملة بغنائم أخذت من المغاربة فلن يشتري منها شيء، وكذلك الحال بالنسبة للمغاربة لن يشتروا من العثمانيين ويتم الاسيتلاء على الغنائم وترد من طرف لآخر مالم يسمح قوات العدو في

(1) عزيز سامح : المرجع السابق ، ص38.

(2) يلماز ازوتونا : المرجع السابق،ص152.

(3) **قبائل الخلوط** : قبيلة عربية مغربية، من قبائل جهة الغرب الشراردة بني احسن، تقع مدينة العرائش في أراضيها، وتحدها شرقا بني جرفط وقبيلة أهل سريف وقبيلة أهل سرسار وقبيلة مصمودة، وشمالا قبيلة الغربية وقبيلة الساحل، وغربا ساحل المحيط الأطلسي، وجنوبا قبيلة سفيان.أنظر الناصري : مصدر سابق ،ص255.

(4) عبد العزيز سالم و أحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس**، ط1 ،دار النهضة العربية ، بيروت 1969م،ص 311.

مهاجمتها[1].

حاول البرتغاليون كذلك عقد هدنة مع السعديين، فبعثوا وفداً إلى مراكش للتفاوض مع المولى أحمد الأعرج الذي استجاب لذلك، لأنه كان في حاجة إلى تنظيم أمور دولته الناشئة سيما بعد الانتصارات التي حققها ضد خصومه الوطاسيين في موقعة بير عقبة (943هـ/1536م)، واتفق البرتغاليون مع السعديين لعقد هدنة بينهما في(944هـ/ 1537م) لمدة ثلاث سنوات، مع إقامة تبادل تجاري بين رعايا الطرفين[2] كان هدف البرتغاليين من التقرب مع الوطاسيين والسعديين هو الحيلولة دون قيام تعاون حقيقي بين العثمانيين من ناحية والوطاسيين والسعديين من ناحية أخرى، لأن أي تعاون من هذا القبيل معناه تهديد لمصالح شبه الجزيرة الايبرية في المغرب، والأهم من ذلك خوف اسبانيا والبرتغال من تقدم الدولة العثمانية داخل شبه الجزيرة الايبرية، وتحقيق هدفها في استرداد الأندلس[3].

2- الخلاف العثماني السعدي:

2-1- إحتلال محمد الشيخ السعدي لتلمسان 1550م:

انتهز الشريف السعدي محمد الشيخ فرصة عودة الأسطول العثماني الى استنبول فأسرع بإرسال جيوشه نحو تلمسان التي كان رجالها قد انضموا الى صفوف المجاهدين في محاولتهم لاسترجاع وهران فدخلها الشريف السعدي على غفلة ووضع على رأسها القائد ابن غنام زعيم القبائل بني راشد ، ووزير آخر ملوك الزيانيين المحتمين باسبانيا، أما الحامية العثمانية الموجودة في تلمسان بقيادة القائد محمود صفا بك فقد استطاعت الصمود في وجه السعديين حتى احتوت ذلك الهجوم السعدي.

إن السعديين كانوا يرون في ضم تلمسان عاملاً قوياً في توطيد سيطرتهم على المغرب الشرقي لصد كل تدخل عثماني في المغرب بعكس العثمانيين الذين كانوا يرون في

(1) عبد الحفيظ الطبايلي، **العلاقات المغربية العثمانية خلال ق16م**، ط1، كلية لآداب، الرباط 1989 م، ص64.

(2) أحمد بن خالد الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج5، دار الكتاب، البيضاء 1954م، ص 96.

(3) المصدر نفسه ، ص 95 .

التمركز بتلمسان تدعيماً لوجودهم في الجزائر وقاعدة حصينة لغزو المغرب(1)، باعتبارها أقرب نقطة للوصول للأندلس كما أن شواطئ المغرب الشمالية والغربية تعتبر قواعد رئيسية لتهديد المواصلات البحرية للبرتغاليين والاسبان(2).

بدأت الدولة العثمانية بتغيير سياستها مع الحكام السعديين، عندما بعث السلطان سليمان القانوني برسالة الى سلطان الدولة السعدية يهنئه بما أحرزه من انتصارات ويعلمه لما كان عليه بنو مرين من الهدايا والرد والخدمة والميل إليه، وأن السلطان في نصرتهم وقد سبق وأن ظهر ذلك في آخر ملوك دولتهم أبي حسون، الذي زوده بأربعة آلاف جندي كان ذلك في محاولة من السلطان لتكوين اتحاد اسلامي كبير يواجه به الأخطار الخارجية، غير أن ذلك قوبل بالرفض من السلطان السعدي محمد الشيخ، الذي رد على مبعوث السلطان بقوله : (سلم على أمير القوارب سلطانك وقل له أن سلطان الغرب لابد أن ينازعك على محمل مصر ويكون قتاله معك عليه إن شاء الله ويأتيك الى مصر والسلام)(3).

يظهر من ذلك استياء محمد الشيخ الذي لم يكن يرى شرعية الخلافة العثمانية، كما أظهر طموح محمد الشيخ الذي كان يحلم بإمامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها(4).

2-2- التعاون البرتغالي الاسباني السعدي ضد العثمانيين :

بعد عودة فاس للسعديين ظهر محمد الشيخ كخصم عنيد للعثمانيين، ومن المعارضين لسياستهم التوسعية في بلاد المغرب، بل والأكثر من ذلك انه اعلن اثر دخوله فاس بأنه عازم على الذهاب الى الجزائر لمنازلة العثمانيين هناك، فهذا التنافس السعدي العثماني على شمال افريقيا، بل وعلى الخلافة الاسلامية كان في صالح الاسبان والبرتغال،

(1) غسان علي الرمال : المرجع السابق، ص345.

(2) عبد الحفيظ الطبايلي : المرجع السابق،ص69.

(3) مؤلف مجهول : تاريخ الدولة السعدية ، ص ص26-27.

(4) المصدر نفسه ، ص37.

ولا عجب اذا رأينا بعد ذلك تقارباً بين هؤلاء جميعاً ضد العثمانيين(1).

بعث الملك جون الثالث رسالة الى حاكم مازكان البرتغالي الفارودي كالفولو رداً على الطلب الذي تقدم به المولى محمد الشيخ الى كل من مدريد ولشبونة لتزويده بقوات عسكرية ضد العثمانيين كما حددت الرسالة بعض الشروط التي يراها البرتغاليون لمساعدة السعديين كتسليم بعض المراكز البحرية المغربية مثل بادس بنيون والعرائش، بالاضافة الى تموين القوات المسيحية التي سيرسلها لمساعدته ، وأخيراً يختتم الملك البرتغالي يوحنا الثالث بضرورة إخبار الأمبراطور الاسباني بذلك للتنسيق في عمل مشترك ضد العثمانيين ، ونتيجة لهذا التقارب فقد عقدت هدنة بين السعديين والبرتغال بواسطة حاكم مازكان لمدة ستة أشهر وذلك في مطلع(962هـ/1555م)، وظل مفعول هذه الهدنة زمناً طويلاً.

إذا كان حاكم مازكان هو الذي قام بدور الوساطة مع السعديين فإن المزوار بوغانم هو الذي كلف من قبل المولى محمد الشيخ بالوساطة مع الاسبان وأول رسالة للمنصور في هذا الصدد ، تلك التي بعثها الى حاكم وهران الاسباني الكونت دي الكودين في مطلع (963هـ/1555م)، وقد أخبر المزوار الكونت الاسباني بوصول رسائله وأنه أعلم بها المولى محمد الشيخ وابنه عبدالله الذين أعربا عن سرورهما لقدوم وفد اسباني للتفاوض معه، وقد ارسل حاكم وهران بالفعل الى فاس وفداً يتألف من ثلاثة أشخاص جاؤوا للاتفاق مع المولى محمد الشيخ حول إعداد حملة مشتركة اسبانية – مغربية ضد العثمانيين(2).

وقد جاء في التقرير الذي رفعه الوفد للكونت حاكم وهران الاسباني الذي اشرف على سير المحادثات (... بعد أسلمناه الرسائل ... طلب إلينا الملك السعدي أن نقول له شفوياً عن سبب المهمة التي قدموا من أجلها الى فاس .. إننا جئنا استجابة لطلب مولاي عبدالله والقائد منصور بن غانم حيث طلب من حاكم وهران إرسال بعض الرجال للتفاوض في أمر الجزائر.

أجابنا الشريف بأنه لايزال عند فكرته وأنه يرغب في طرد العثمانيين من بقايا افريقيا

(1) عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص83.

(2) عبد الكريم كريم : المرجع النفسه ، ص ص83-84.

ومن أجل ذلك فهو يطلب من جلالة الامبراطور امداده بعشرة آلاف مقاتل مسلحين بأسلحة نارية، وأنه (أي الشريف) يرى بأنه من المناسب أن يقوم جلالة الأمبراطور بكل مايلزم لهؤلاء المقاتلين من نفقات ، ذلك لأن طرد العثمانيين انما هو عمل تستفيد منه ممالك الأمبراطور والمسيحية جمعاء ... وطالت المذكرات كثيراً وأخيراً علمني القائد برشميده، بأن الشريف قد ادخر كثيراً من المال لمحاربة العثمانيين، وأنه يسعده أن يعين الأمبراطور على ذلك وأن الأمر مستعجل جداً ...).

(... جاء ذكر الجزائر ماذا نصنع بها بعد احتلالها، فكان من رأي الملك السعدي تحطيم هذه المدينة وإزالتها تماماً، أما أهلها فتؤخذ أموالهم، وإذا امتنعوا فيقتلوا ورفض الملك السعدي أن يؤخذوا عبيداً للمسيحيين، وذكر الوفد أن الأتراك أجانب عن البلاد وأنهم أعداء له فيجب معاملتهم معاملة الأعداء، أما العرب فيمكن أن تترك لهم حريتهم في حالة استسلامهم دون مقاومة. إلا أن الملك السعدي أوضح أنه لن يسمح أبداً بأن يصبح أي عربي عبداً، لأن هذا مخالف للشريعة)[1].

يتبين من خلال ذلك مدى حقد الشريف السعدي على العثمانيين ، الذي لم يتورع في الاستنجاد بالقوى المسيحية اسبانيا والبرتغال في سبيل تحقيق أهداف شخصية، حتى لو كان على حساب عقيدته الاسلامية ومصالح المسلمين.

نتيجة لذلك التقرير فقد بعث الكونت الكودين حاكم وهران ذلك الى الأمير فليب ابن الأمبراطور شارل مشفوعة بخطاب هذا نصه: (... يجب علينا أن نعتبر أنفسنا سعداء جداً في الوقت الذي يبذل فيه ملك فرنسا عدونا الألد كل جهوده للحصول على أسطول السلطان العثماني، حتى يهاجم ممتلكات جلالة الأمبراطور وكون أمير عربي يعرض علينا نفوذه في مهاجمة العثمانيين في الجزائر ومحاربتهم وابعادهم عن الأرض التي يحتلونها في افريقيا وذلك فيما إذا قدمنا له اثنى عشر ألف من المقاتلين الاسبان على حسابه، كذلك يتعهد الشريف السعدي في حالة الموافقة أن أبعث بأحد أبنائي رهينة لديه، وأن يصنع المال اللازم

(1) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ص61-62.

لتجهيز هذه الحملة بكل سرعة ، بما أن هذه الصفقة ستجر خيراً عظيماً على جلالته وعلى المسيحية جمعاء فأنا لا أتردد في قبول طلب الشريف وأرسل إليه ابني رهينة حتى لو كنت على يقين أنه يريد أن يذبحه بل أنني وجميع من حولي مستعدين لتقديم أنفسنا كرهائن حتى لو كان الشريف يريد بيعنا عبيداً....)[1].

أطلع صالح ريس على تلك المؤامرة التي كانت تحاك ضد الدولة العثمانية بين ملك المغرب والاسبان والتي كان هدفها طرد العثمانيين من الجزائر، لأنه طالما أن الدولة في الجزائر معناه خطر على اسبانيا، فبعث صالح ريس للباب العالي يخبره بشأن تلك المحادثات، فكان جواب السلطان سليمان سريعاً وحاسماً بوجوب مهاجمة وهران قبل أن تستمر المحادثات بين الجانبين السعدي والاسباني عن نتيجة عملية، فأرسل السلطان سليمان أربعين سفينة لمساعدته في الاستيلاء على وهران والمرسى الكبير، ومنذ ذلك الوقت كانت الهجرة والتجنيد الطوعي من مختلف أنحاء الدولة العثمانية هي التي تغذي الأوجاق، الذي كان تبعاً لذلك يتجدد على الدوام[2].

(1) المرجع نفسه، ص ص364-365.

(2) محمد خير فارس: المرجع السابق ، ص81.

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر:

01-**(بربروسا) خير الدين : مذكرات خير الدين** ، ترجمة ،محمد دراج ،ط1 ،شركة الاصالة للنشر ، الجزائر 2010.

02-(ابن اياس) محمد ابن احمد:**بدائع الزهورفي وقائع الدهور**،مطابع الشعب،القاهرة 1960.

03-(الوزان)الحسن بن محمد: **وصف إفريقيا**، تعليق .محمد حجي وآخرون، 2 ج، ط2 ، 1983، ج2 .

05-(المقري) شهاب الدين أحمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق : إحسان عباس،4ج،دار صادر، بيروت1988م،ج4.

06-(المقري) شهاب الدين أحمد: **ازهار الرياض في أخبار عياض**، ط2 ، دار النشر و التوزيع ، الرباط 1987م،ج1.

07-(مجهول) : **غزوات عروج وخير الدين** ، تعليق : نورالدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الادبية ، الجزائر 1930م.

08-(مجهول) : **نبذة أخبار في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة و نزوح الأندلسيين إلى المغرب)**، تعليق الفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد2002.

09-(مجهول): **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية** ،ط1، تقديم و تحقيق : عبد الرحيم بن حادة ،عيون المقالات ، مراكش 1994م .

10-(الناصري) أحمد بن خالد ، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج5 ، دار الكتاب، البيضاء 1954 م.

11-(سرهنك) اسماعيل :**حقائق الأخبارعن دول البحار**، ط 1 ، المطبعة الاميرية ، مصر1883 م.

قائمة المراجع :

- **بالعربية :**

01-(ابراهيم) عبدالعزيز عبدالغني : **علاقة ساحل عمان ببريطانيا**، ط 1 ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، الرياض1982 م.

02-(ابو غنيمة)زيادة : **جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين** ، ط 1 ، دار الفرقان ،بيروت 1983 م.

03-(أزوتونا) يلماز : **موسوعة تاريخ الامبرطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري**، ترجمة عدنان محمود سلمان ،الطبعة1 ،المجلد الاول، دار العربية للموسوعات، بيروت 1991م.

04-(أصاف)يوسف :**تاريخ سلاطين آل عثمان** ، ط 1 ، دار غريب للطباعة ، القاهرة1988 م.

05-(إنالجيك) خليل : **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار**، ترجمة :محمدالأرنؤوط، ط 1، دار المدار الإسلامي، ليبيا 2002 م.

06-(الباركني)عمر محمد : **الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي، طرابلس 1952 م.

07-(بانيكار):**آسيا الوسطى الغربية**، تر،عبد العزيز توفيق جاويد ، ط 1 ، دار المعارف ، لبنان 1998 م.

08-(بروكلمان)كارل : **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ت رجمة : نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، ط5 ، دار العلم للملايين، بيروت 1986 م.

09-(برون) جفري : **تاريخ أوروبا الحديث** ، ترجمة،ع. علي المرزوقي ، ط 1 ، الأهلية للنشر و التوزيع ، الأردن 2006 م.

10-(بسام) العسلي : **الجزائر والحملات الصليبية (1548-1791م)** ، ط 1 ،دار النفائس،بيروت 1980 م.

11-(بلغيث) محمد الأمين : **فصول في التاريخ و العمران بالمغرب الإسلامي**، ط1 منشورات انترسيني، الجزائر2007 م.

12-(بن خروف) عمار، العلاقات **السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن(10هـ/16م)** 2 .ج، دار الامل ، الجزائر 2001 م ، ج1 .

13-(بيفون) جميل: **تاريخ العرب الحديث** ، ط1 ، دار الامل للنشر والتوزيع،القاهرة 1992م.

14-(بيومي) زكرياء سليمان : **قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين (التحالف الصليبي الماسوني الإستعماري و ضرب الإتجاه الإسلامي)** ،ط1 ،عالم المعرفة،جدة 1991 م.

15-(التميمي) عبد الجليل : **الولايات العربية و مصادر وثائقها في العهد العثماني**، جمع وتق ،عبد الجليل التميمي، ط 1 ، الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس 1984 م.

16-(التميمي)عبد الجليل : **التشكل الاداري والجغرافي والسياسي للايالات العثمانية بالجزائر وتونس وطرابلس الغرب (1577-1588م)**،الجزء الثاني زغوان 1997 م .

17-(التميمي) عبد الجليل : **الخلفية الدينية الصراع العثماني – الإسباني على الإيالات المغاربية في القرن السادس عشر**، م.ت.م ، ع10-10 ، تونس 1978م .

18-(التميمي) عبد الجليل : **الدولة العثمانية و قضية الموريسكين الأندلس**، مركز الدراسات و البحوث العثمانية المورسكية و التوثيق و المعلومات، زغوان 1989 م.

19-(الثقفي) يوسف : **دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب**، ط 2 ، دار الثقة ، القاهرة 1991 م.

20-(الثقفي)يوسف : **موقف أوروبا من الدولة العثمانية**، ط 1 ،دارالثقة،القاهرة 1997 م.

21-(جلال) يحيى :**المغرب الكبير (العصو الحديثة وهجوم الاستعمار)** ، ط 1 ، الدار القومية للنشر والتوزيع ، القاهرة 1966 م.

22-(الجمل) شوقي عطا الله :**الكشوف الجغرافية البرتغالية والاسبانية**، دار الثقة ، القاهرة 1995م.

23-(الجمل)شوقي عطا الله :**المغرب العربي الكبير**، ط1 ، مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة 1977 م.

24-(الجمل) شوقي عطا الله :**تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها**، ط 2 ، المكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة 1980 م.

25-(جوليان)شارل أندري : **تاريخ إفريقيا الشمالية** ، ترجمة وتعليق :محمد مزالي و البشير بن سلامة،1 ج ، ط 2 ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1983 م، ج2 .

26-(الجيلالي)عبد الرحمان :**تاريخ الجزائرالعام** ط 4 ، ج 1،دار الثقافة،بيروت 1980م.

27-(حتاملة)محمد عبده :**التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد فيليب الثاني(1529-1598م)** ،ط 1 ، دار المطابع النموذجية، عمان-الاردن 1982 م.

28-(الحجي) عبد الرحمان علي : **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دار العلم، بيروت 1976 م.

29-(الحسن) عيسى : **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية**، ط1 ، الأهلية للنشر للتوزيع، الأردن 2008 م.

30-(حسون)علي : **تاريخ الدولة العثمانية**، ط 1 ، المكتب الإسلامي،دمشق 1980 م.

31-(حسيني) حسن عبد الوهاب : **خلاصة تاريخ تونس** ، ط 1، الدار التونسية ، تونس1983 م.

32-(حليم) بك إب ا رهيم : **تاريخ الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمية)** ، ط 1 ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت 1988 م.

33-(حومد) أسعد: **محنة العرب في الأندلس**، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت 1988 م.

34-(دو شاتوبريان) ألفيكونت :**الإسلام في الأندلس**، آخر بني سراج (ملحق أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر آخر بني سراج) ، تع . شكيب أرسلان، دار مكتبة الحياة، بيروت 1985 م.

35-(ذنّون) عبد الواحد طه : **حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة**، ط 1 ، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1988 م.

36-(الرمال) غسان علي : **صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر** ، ط 1 ، دار العلم ، جدة 1985 م.

37-(زغروت) فتحي :**النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي**، ط1 ،دار الأندلس الجديدة، مصر 2009م.

38-(سالم) عبد العزيز والعبادي أحمد مختار : **تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس**، ط 1 ،دار النهضة العربية ، بيروت 1969 م.

39-(ستانلي) **بول : قصة العرب في إسبانيا**، عت. علي الجار بك، دار المعاري، مصر 1944م.

40-(السرجاني) راغب : **قصة الاندلس من الفتح إلى السقوط**، ط1 ، مؤسسة اقرأ ، القاهرة 2011م.

41-(شحاتة) حسن ابراهيم : **اطوار العلاقات المغربية العثمانية (قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون(1510 م -1981 م)** ، ط1 ، دار المعارف ، الاسكندرية 1980 م.

42-(الشطشاط)علي حسن : **نهاية الوجود العربي في الأندلس** ، دار قباء ، القاهرة2001م.

43-(الشناوي)عبد العزيز محمد :**الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها**، ملتزم للطبع و النشر، القاهرة 1980 م.

44-(الشناوي) عبد العزيز محمد :**أوروبا في مطلع العصور الحديثة** ، ط 1 ، ج1 ، المكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة 1985 م.

45-(صيرفي) نوال : **النفوذ البرتغالي في الخليج العربي**، ط 1 ن مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، الرياض 1983 م.

46-(الطبايلي) عبد الحفيظ :**العلاقات المغربية العثمانية خلال ق 19 م**، ط1 ، كلية لآداب، الرباط 1989 م.

47-(الطقوس) محمد سهيل : **تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)** ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت 2009 م.

48-(عباد)صالح :**الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)**، ط 2 ،دار هومة ، الجزائر 2007 م.

49-(عبد اللطيف) محمد : **الحروب العثمانية الفارسية و أثرها في إنحسار في أوروبا**، ط1 ، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة 1987 م.

50-(عبد الهادي) جمال : **تاريخ الأمة الواحدة، صفحات من تاريخ الدولة العثمانية(1299-1924م)**، ط 1 ،دار النشر والتوزيع، بيروت 1995 م.

51-(عبدالعزيز) سليمان نوار و(محمود محمد) جمال الدين : **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، دار الفكر العربي، مصر 1999 م.

52-(عبود) بن عبد السلام : **تاريخ المغرب** ،ط 2 ،دار الطباعة المغربية،تطوان 1957 م.

53-(العروسي) محمد المطوي : **الحروب الصليبية في المشرق و المغرب**، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي لبنان 1986 م.

54-(العسلي) بسام : **خير الدين بربروس** ، ط 1 ، دار النفائس ، بيروت1910 م.

55-(العقاد) صلاح :**التيارات السياسية في الخليج العربي** ، ط 1 ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة 1974 م.

56-(عقاد) صلاح :**المغرب في بداية العصور الحديثة**، ط 1 ، المكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة 1969 م.

57-(الغربي) الغالي : **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية كالمشرق العربي (1288-1916م)**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 م .

58-(الغربي)محمد : **بداية الحكم المغربي من السودان الغربي** ، ط 1 ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت 1982 م.

59-(غطاس)عائشة و أخريات : **الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها**، منشورات المركز الوطني، الجزائر 2007 م.

60-(فارس) محمد خير : **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي**،ط 1 ، مكتبة دار الشرق ، بيروت 1969 م.

61-(فريد) محمد : **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط1 ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة 2012 م.

62-(فيشر) هربرت : **أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة إلى الثورة الفرنسية** ، ترجمة : ا رشد زينب عصمت و آخرين ،ط 1 دار المعارف ، مصر 1970 م.

63-(قشتيليو) محمد :**محنة الموريسكوس في اسبانيا** ، مطبعة الشويخ ، تطوان 1980 م.

64-(أرسلان)رشكيب :**خلاصة تاريخ الأندلس**، ط1 ، دا رمكتبة الحياة، بيروت 1983م.

65-(كارديك)لويس : **الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون**، منشورات م .ت . ت ديوان المطبوعات الجامعية، تونس 1983 م.

66-(كريم) عبد الكريم :**المغرب في عهد الدولة السعدية** ، ط 1 ،جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط 2006 م.

67-(الكندري) عبدالله: **منح رب البرية في فتح رودس الأبية** ، حوليات كلية الاداب ،الحولية الثامن عشر ، قسم التاريخ ،جامعة الكويت 1997 م.

68-(كوبريلي) محمد فؤاد : **قيام الدولة العثمانية**، تقديم: أحمد السعيد سليمان و أحمد عزت عبدالكريم، ترجمة ،أحمد السعيد سليمان، ط1 ، دار الكتاب العربي للنشر و التوزيع،بيروت1995م.

69-(لوثروب)ستودارد : **حاضر العالم الإسلامي** ، تعليق.عجاج نويهض، تحقيق شكيب أرسلان،4 ج، ط 1 ، دار الفكر ، بيروت 1971 م ، ج2 .

70-(مانتيران) روبير : **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة: بشير السباعي، ط 1 ،دار الفكر للدراسات، القاهرة 1993 م.

71-(الزبيري) محمد العربي : **مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث** ، ط 1 ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1985 م.

72-(المدني)أحمد توفيق : **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا ((1492-1792م)** ، ط 1، دار البصائر ، الجزائر 2001 م.

73-(مصطفى) أحمد عبد الرحيم : **في أصول التاريخ العثماني**، ط1 ، دار الشروق، القاهرة1982 م.

74-(المطوى)محمد العروسي :**السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي** ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1986م

75-(مينغيرتز)أنطونيو دو وبرنارد بنشنت : **تاريخ مسلمي الأندلس**، عت . عبد العال صالح طه، ط 1 ، دار الإشراق، قطر 1988 م.

76-(نوار) عبدالعزيز : **الشعوب الاسلامية (الاتراك العثمانيون ، الفرس ، مسلمو الهند)**،ط 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت 1991 م.

77-(نيقولاي) ايفانوف :**الفتح العثماني للاقطار العربية** ، تعليق ، يوسف عطاء الله ، ط2 دار الفرابي ، بيروت 2004 م.

78-(وولف)جوف باتيست وولف : **الجزائر و أوروبا (1500-1830م)** ، تعليق : أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986 م.

79-(ياغي) أحمد إسماعيل : **الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث**، ط1 ، مكتبة العبيكلن ،الرياض 1996 م.

80-(يحياوي) جمال: **سقوط غرناطة ومأساة الأندلس (1492-1610م)**،ط1 ، دار هومة، الأردن 2009 م.

81-(يحيى) جلال : **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر** ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 1983 م.

82-(اليوسف) عبد القادر أحمد :**علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر و الخامس عشر ميلادي**، ط1 ، المكنبة المصرية، لبنان 1969 م.

المراجع باللغة الاجنبية :

01-(Braudel)Fernand: **Le Méditerranée et le monde Méditerrané à l'époque de Phlippell**, 2T, 2ème éd, librairie Armand colin, Paris 1966,

02- (Braudel) Fernand: «**Les Espagnoles et L'Afrique du Nord de 1492 -1577**», R.A, t69, Alger 1928.

03- (Lopez) (R-S): **Naissance d' Europe**, Casterman.Coll (Moi, Mémoires), Paris 1968.,

04-(Panella) Guane: **Le transfert des Moriscos Espagnoles en Afrique du nord**, une étude sur les Moriscos Andalous en Tunisie, publées par M. de Epalza et Petit, Tunis 1973.

05-(Henri.D) De Grammont: **Histoire D'Alger sous la domination Turque (1515- 1830)**, Ernest. Lerroux éditeur, Paris, 1877.

06-(Elie)de la Praimaudaie: **le Commerce et la navigation de L'Algérie**, CH, Lahure, Paris1861.

07- (Castries)Henry De: **Les Sources inédites de l'histoire du Maroc**, Archives et bibliothèques d'Espagne, 21T, Paris et Madrid 1921.

08-(Léon)Fey: **Histoire d'Oran avant**, pendant et après la domination Espagnoles, Topographie Adolphe Ferrier éditeur, Oran 1858, p57.

09-(Belhamissi)Moulay: **Les captif Algériens et l'Europe chrétienne (1518-1830)**, ENAL, Alger1988.

10- (Range) Sander et Denis (Ferdinand) : **Fondation de la Régence d'Alger Histoire des Barberousse**, 2T, Librairie de L'Eveche Oriental, 1837, t2, pp9-10.

11- (Sir Godfrey) Ficher: **Légende Barbaresque**,trad Hellal (Farida), O.P.UAlger, 2000.

قائمة الرسائل العلمية :

01-(بن قومار) جلول: **معركة وادم المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا (البرتغال، إسبانيا و فرنسا)** ، **(986هـ/178م – 1012هـ/ 1603م)** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، (2010 – 2011م).

02-(فكاير)عبد القادر: **الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن 16م** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر ، (2000- 2001).

03-(دكاني)نجيب : **الإحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية و ردود الفعل الجزائرية خلال القرن (10هـ/16م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المُعاصر، غير منشورة، جامعة الجزائر، (2000-2001م).

04- (الشافعي) درويش :**علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن (10هـ/16م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، (2010-2011م)

05- (كليل صالح): **سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الاوسط** ، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، معهد التاريخ ، جامعة باتنة (2006م-2007م) .

06-(سي يوسف) محمد : **قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية** ، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والنعاصر ، غير منشورة ، جامعة الجزائر 1988م.

البيبليوغرافيا

المقالات:

01- (الصباغ ليلى): **ثورة مسلمي غرناطة عام (976هـ/1569م) والدولة العثمانية** ، الاصالة ،ع 27، الجزائر 1975م.

02-(التميمي) عبد الجليل ، **رسالة مسلمي غرناطة الى السلطان سليمان** ، مجلة الدراسات المورسكية ،عدد 3 ، تونس1989.

الفهرس

الموضوع الصفحة
مقدمة أ-خ
الفصل الأول : الوضع السياسي لاسبانيا في اواخر القرن 15 وبداية القرن 16.....8
المبحث الأول : قيام دولة اسبانيا الموحدة 8
1-اتحاد مملكة قشتالة واراغون.....8-10
2-سقوط غرناطة وتداعياته 12-14
المبحث الثاني : الاهتمام الاسباني الكاثوليكي ببلاد المغرب 15
1-الحملات الصليبية في بلاد المغرب 15-18
2-الدوافع والاسباب 19
2-1-الدوافع الدينية.....20-21
2-2-الدوافع السياسية..... 22-23
2-3-الدوافع الاقتصادية.....23-24
2-4-الدوافع العسكرية.....25-26
2-5-الدوافع الاستراتيجية 27
الفصل الثاني : إستغاثة أهل الأندلس و جهود العثمانيين لإنقاذهم.....**29**
المبحث الأول : إستغاثة مسلمي الأندلس بالسلطان بايزيد الثاني 30
1-ظروف تولي بيازيد الجكم.....30
1-1-الصراع على الحكم.....30-31
1-2-موقف السلطان بايزيد من المماليك.....32-33
1-3-علاقة السلطان بيازيد الثاني بالدول الأوربية.....32-33
2-جهوده اتجاه مسلمي الأندلس.....33-37
المبحث الثاني : السلطان سليم الأول و تغير السياسة العثمانية 38
1-الأسباب تغير السياسة العثمانية.....38-39
2-الصراع العثماني الصفوي 39-44
3-الصراع العثماني المملوكي.....45-48

4-الصراع العثماني البرتغالي.....47-55
المبحث الثالث : السلطان سليمان القانوني و موقفه من مسلمي الأندلس.....56
1-إستغاثة أهل الأندلس بسليمان القانوني.....56
1-1-رسالة مسلمي الأندلس للسلطان سليمان القانوني.....57
2-التحديات التي واجهت سليمان القانوني.....57
2-1-الفتن التي واجهته في بداية حكمه.....57-58
2-2-فتح رودس.....58-59
2-3-قتال المجر وحصار فيينا.....59-60
الفصل الثالث : الجهاد البحري في الحوض الغربي للمتوسط..... 61-62
المبحث الأول : أثر حروب الإسترداد على الشمال الإفريقي.....62
1-دور الأخوين بربروسا في الجهاد ضد الغزو الصليبي.....62-64
2-قيام نظام بيلر باي في الجزائر.....64-67
المبحث الثاني: جهود أتراك الجزائر لإنقاذ مسلمي الأندلس.....68
1-خير الدين بربروس.....68
1-1-التحديات التي أمام خير الدين.....68-70
1-2-أثر جهاد خير الدين على المغرب الأقصى.....70-71
2-حسن بن خير الدين بربروسا.....72
2-1-جهود حسن خير الدين بربروسا.....73-77
2-2-سياسته في التضييق على الاسبان.....77-81
3-صالح رايس 81
3-1-سياسته الداخلية والخارجية 81-84
3-2-تمهيده للعمل المشترك في استرداد الاندلس 84-85
4-جهود قلج علي لإنقاذ مسلمي الأندلس..... 87
4-1-إعادة تونس للحكم العثماني.....85-87

4-2-دعم فلج علي لثورة مسلمي الأندلس 87-90

المبحث الثالث : المعيقات التي حالت استرداد الاندلس.....91

1-**الصراع العثماني الاسباني في حوض المتوسط** 91-92

1-1-استيلاء شارل الخامس على تونس 91-92

1-2-حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر 92

2- **الخلاف العثماني السعدي** 93

2-1- التقارب البرتغالي السعدي.....93

2-2-احتلال محمد الشيخ السعدي لتلمسان.....93-94

2-3-التعاون البرتغالي الاسباني السعدي ضد العثمانيين..... 94-97

الخاتمة

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات